

توفيق الحكيم

الأحاديث الأربعة

والقضايا الدهشية التي أثارها

سنتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجاميزة ٤١٩٣٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا - شب ١٠٨٦٨ ٩٢٠
الطبعة المنقولة جديت
- سكة الشاروع بالطمينة الجديدة

توفيق الحكيم

الأحاديث الأربعة

والقضايا الدينية التي أثارها

مكتبة المجتمع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعها بالجامعة
١٩٤٧
٤٥٠٠٠٠
الطبعة النموذجية
٦ مكة الشارعية بالحلمية الجديدة

رقم الإيداع ٣٨٣٦ / ١٩٨٢
الترقيم التسويقي ٤ / ٠٠٢ / ٤٧٢ / ٩٧٧ ISBN

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ
صدق الله العظيم
(سورة هود : ٨٨)

كتب المؤلف نشرت باللغة العربية

- (١) محمد ص (سيرة حوارية) ١٩٣٦
- (٢) عودة الروح (رواية) ١٩٣٣
- (٣) أهل الكهف (مسرحية) ١٩٣٣
- (٤) شهر زاد (مسرحية) ١٩٣٤
- (٥) يوميات نائب في الأرياف (رواية) ١٩٣٧
- (٦) عصفور من الشرق (رواية) ١٩٣٨
- (٧) تحت شمس الفكر (مقالات) ١٩٣٨
- (٨) أشعب (رواية) ١٩٣٨
- (٩) عهد الشيطان (قصص قصيرة) ١٩٣٨
- (١٠) حمارى قال لى (مقالات) ١٩٣٨
- (١١) براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية) ١٩٣٩
- (١٢) راقصة المعبد (رواية قصيرة) ١٩٣٩
- (١٣) نشيد الانشاد (كما في التوراة) ١٩٤٠
- (١٤) حمار الحكيم (حوار) ١٩٤٠
- (١٥) سلطان الظلام (قصص) ١٩٤١
- (١٦) من البرج العاجى (مقالات) ١٩٤١
- (١٧) تحت المصباح الأخضر (مقالات) ١٩٤٢
- (١٨) بجماليون (مسرحية) ١٩٤٢
- (١٩) سليمان الحكيم (مسرحية) ١٩٤٣
- (٢٠) زهرة العمر (سيرة ذاتية - رسائل) ١٩٤٣

- (٢١) الرباط المقدس (رواية) ١٩٤٤
(٢٢) شجرة الحكم (مقالات) ١٩٤٥
(٢٣) الملك أوديب (مسرحية) ١٩٤٩
(٢٤) مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠

من وحى أخلاق المجتمع (بين يوم وليلة) قصة تمثيلية
في منظرين — من وحى الطبائع البشرية (أريد أن
أقتل) قصة تمثيلية في فصل واحد — من وحى الحركة
النسوية (النائبة المحترمة) تمثيلية في منظرين — من
وحى الحياة الزوجية (أصحاب السعادة الزوجية)
تمثيلية في فصل واحد — من وحى حرب فلسطين
(ميلاد بطل) تمثيلية في منظرين — من وحى رجال
الاعمال وصراع الاجيال (اللص) تمثيلية في أربعة
فصول — من وحى حرية المرأة (أريد هذا الرجل)
تمثيلية في فصل واحد — من وحى الصحافة والسياسة
(عرف كيف يموت) قصة تمثيلية في فصل واحد —
من وحى السينما والدين (المخرج) قصة تمثيلية في
فصل واحد — من وحى أخلاق الحرب (عمارة المعلم
كندوز) قصة تمثيلية في فصل واحد — من وحى المال
والحب (الكنز) قصة تمثيلية في فصل واحد —
من وحى المعتقدات الشعبية (بيت النمل) تمثيلية
في فصل واحد — من وحى الاداة الحكومية (أعمال
حررة) قصة تمثيلية في فصل واحد — من وحى الحوادث
الجارية (ساحرة) قصة تمثيلية في فصل واحد —
النماذج البشرية (الحب العذرى) قصة تمثيلية في

قَصَل واحد - من وحي الحياة العصرية (الجياع)
 تمثيلية في فصل واحد - من وحي الحياة الفنية (العث
 الهادي) قصة تمثيلية في أربعة فصول - من وحي
 الاخلاق والوصولية (مفتاح النجاح) قصة تمثيلية في
 فصل واحد - من وحي تيار المجتمع (الرجل الذي
 صمد) قصة تمثيلية في فصل واحد - من وحي المجتمع
 والعلم الحديث (لو عرف الشباب) قصة تمثيلية في
 أربعة فصول - من وحي العادات الريفية (أغنية
 الموت) قصة تمثيلية في فصل واحد .

- (٢٥) فن الادب (مقالات) ١٩٥٢
 (٢٦) عدالة وفن (قصص) ١٩٥٤
 (٢٧) أرني الله (قصص قصيرة) ١٩٥٣
 (٢٨) عصا الحكيم (مقالات حوارية) ١٩٥٤
 (٢٩) تأملات في السياسة (فكر) ١٩٥٤
 (٣٠) الايدي الناعمة (مسرحية) ١٩٥٩
 (٣١) التعادلية (فكر) ١٩٥٥
 (٣٢) ايزيس (مسرحية) ١٩٥٥
 (٣٣) الصفقة (مسرحية) ١٩٥٦
 (٣٤) المسرح النوع (٢١ مسرحية) ١٩٥٦
 سر المنتحرة / من أربعة فصول (١٩٢٩) - حياة
 تحطمت / من مقدمة وأربعة فصول وخمسة مناظر
 (١٩٣٠) - رصاص في القلب / ثلاثة فصول (١٩٣١)
 - الايدي الناعمة / أربعة فصول (١٩٥٤) - الخروج
 من الجنة / ثلاثة فصول (١٩٢٨) - صاحب الجلالة

خمسة فصول (١٩٥٥) - المرأة الجديدة / ثلاثة
 فصول (١٩٢٣) - الصندوق / فصل واحد (١٩٤٩)
 - الزمار فصل واحد (١٩٢٢) - جنسنا اللطيف /
 فصل واحد (١٩٣٥) - نهر الجنون / فصل واحد
 (١٩٣٥) - حديث صحفي / فصل واحد (١٩٣٨) -
 دقت الساعة فصل واحد (١٩٥٠) - الشيطان في
 خطر / فصل واحد (١٩٥١) - لكل مجتهد نصيب /
 فصل واحد (١٩٥١) - بين الحرب والسلام / فصل
 واحد (١٩٥١) - لا تبحث عن الحقيقة / فصل واحد
 (١٩٤٧) - أمام شبك التذاكر / فصل واحد (١٩٢٦)
 - نحو حياة أفضل / فصل واحد (١٩٥٥) - صلاة
 الملائكة / فصل واحد وستة مناظر (١٩٤١) - كل
 شيء في محله / فصل واحد (١٩٦٦)

- ١٩٥٧ (٣٥) لعبة الموت (مسرحية)
- ١٩٥٧ (٣٦) أشواك السلام (مسرحية)
- ١٩٥٧ (٣٧) رحلة الى البغد
- ١٩٦٠ (٣٨) السلطان الجائر (مسرحية)
- ١٩٦٢ (٣٩) يا طالع الشجرة (مسرحية)
- ١٩٦٣ (٤٠) الطعام لكل فم (مسرحية)
- ١٩٦٤ (٤١) رحلة الربيع والخريف (شعر)
- ١٩٦٤ (٤٢) سجن العمر (تذكريات)
- ١٩٦٥ (٤٣) شمس النهار (مسرحية)
- ١٩٦٦ (٤٤) مصر صرصار (مسرحية)
- ١٩٦٦ (٤٥) الوزظلة (مسرحية)

- (٤٦) ليلة الزفاف (قصة) ١٩٦٦
- (٤٧) قالبنا المسرحي (دراسة) ١٩٦٧
- (٤٨) بنك القلق (رواية مسرحية) ١٩٦٧
- (٤٩) مجلس العدل (مسرحية) ١٩٧٢
- (٥٠) رحلة بين عصرين (تكريات) ١٩٧٢
- (٥١) حديث مع الكوكب (حوار فلسفي) ١٩٧٤
- (٥٢) الدنيا رواية هزلية (مسرحية) ١٩٧٤
- (٥٣) عودة الوعي (تكريات سياسية) ١٩٧٤
- (٥٤) في طريق عودة الوعي (تكريات سياسية) ١٩٧٥
- (٥٥) الحمير (مسرحية) ١٩٧٥
- (٥٦) ثورة الشباب (قصة) ١٩٧٥
- (٥٧) بين الفكر والفن (مقالات) ١٩٧٦
- (٥٨) أدب الحياة (مقالات) ١٩٧٦
- (٥٩) مختار تفسير القرطبي (مختار التفسير) ١٩٧٧
- (٦٠) تحديات سنة ٢٠٠٠ (مقالات) ١٩٨٠
- (٦١) ملامح داخلية (حوار مع المؤلف) ١٩٨٢
- (٦٢) التعاقدية مع الاسلام والتعاقدية (فكر) ١٩٨٣
- (٦٣) الأحاديث الأربعة (فكر) ١٩٨٣

كتب للؤلوف نشرت في لغة أجنبية

رجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج
لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية في دار نشر (نوفيل
إديسون لاتين) وترجم إلى الإنجليزية في دار النشر
(بيلوت) بلندن ثم في دار النشر (كراون) بنيويورك
في عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتنتز
ريس) واشنطن ١٩٨١ .

شهرزاد

ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٣٥
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ في دار (فاسكيل) للنشر
وبالإنجليزية نشرت مختارات منه في لندن عام ١٩٤٢ .

عودة الروح

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى)
وفي عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفي عام ١٩٧٤
و ١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة بدار بلون يباريس)
وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة
الانجليزية في دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧
وترجم إلى الأسبانية في مدريد ١٩٤٨ وترجم ونشر
في السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام
١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١

نوميات نائب
في الأرياف

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي
لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دي فرانس ثم
ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام
١٩٦٢ وبالأسبانية في مدريد عام ١٩٤٦

أهل الكهف

(تابع) كتب المؤلف نشرت في لغة أجنبية

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى . ونشر طبعة ثانية في باريس عام ١٩٦٠	}	عصفور من الشرق
ترجم ونشر بالفرنسية في باريس بعنوان (مذكرات قضائي شاعر) عام ١٩٦١ .		عدالة و فن
: ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .	}	بجاليون
ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثري كنتنتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .		الملك أوديب
ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثري كنتنتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .	}	سليمان الحكيم
: ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .		نهر الجنون
: ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .	}	عرف كيف يموت
: ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .		الخروج
ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٢ .	}	بيت التمل
: ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .		الزمار
: ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .	}	راكها أو مشكلة الحكم
ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثري كنتنتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .		السياسة والسلام

(تابع) كتب للمؤلف نشرت في لغة أجنبية

ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتز) عام ١٩٨١ واشنطن	}	شمس النهار	
ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتز) عام ١٩٨١ واشنطن		صلاة الملائكة	
ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتز) عام ١٩٨١ واشنطن	}	الطعام لكل فم	
ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتز) عام ١٩٨١ واشنطن		الأيدي الناعمة	
ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتز) عام ١٩٨١ واشنطن	}	شاعر على القمر	
ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتز) عام ١٩٨١ واشنطن		الورطة	
ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠	}	الشیطان في خطر	
ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠		}	بين يوم وليلة
وبالاسبانية في مدريد عام ١٩٦٣			
ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٤	}	المش الهاديء	
ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٤		أريد أن أقتل	
ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٣		الساحرة	

(تابع) كتب للمؤلف نشرت في لغة أجنبية

عام ١٩٥٤	: ترجم ونشر بالفرنسية في باريس	دقت الساعة
عام ١٩٧٣	ترجم بالإنجليزية في لندن هاينان	} أنشودة الموت
عام ١٩٥٣	وبالأسبانية في مدريد	
عام ١٩٥٤	: ترجم ونشر بالفرنسية في باريس	لو عرف الشباب
عام ١٩٥٤	: ترجم ونشر بالفرنسية في باريس	السكر
عام ١٩٦٠	ترجم ونشر بالفرنسية في باريس	} رحلة إلى الغد
	وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثرى كنتنتر بريس) بواشنطن	
عام ١٩٦٠	ترجم ونشر بالفرنسية في باريس	الموت والحب
عام ١٩٧٣	ترجم ونشر بالإنجليزية في لندن هاينان	} السلطان الحائر
عام ١٩٦٤	وبالإيطالية في روما	
	ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية في لندن	} ياطالع الشجرة
	عام ١٩٦٦ في دار نشر أكسفورد يونيفرسيتي بريس	
	(الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس)	
عام ١٩٧٣	: ترجمة دنيس جونسون دافيز	مصير صرصار
	كل شيء في مكانه	} مسج
	السلطان الحائر	
	نشيد الموت	

لنفس المترجم عن دار نشر هاينان — لندن

(تابع) كتب للمؤلف نشرت في لغة أجنبية

- | | |
|--|-------------------------------|
| ترجمة داود بشاي (بالإنجليزية) جمع محمود التزلاوي
تحت عنوان «أدبنا اليوم» مطبوعات الجامعة
الأمريكية بالقاهرة - ١٩٦٨ | } الشهيد |
| ترجمة د. إبراهيم الموجي (بالإنجليزية)
نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ | } محمد عيسى |
| ترجمة توليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن
ولوننج بيرلين . | } المرأة التي غلبت
الشيطان |

بعض المراجع (*) الأجنبية عن فكر المؤلف

Philosophical concepts in five plays
by the Egyptian dramatist TAWFIK AL HAKIM
Aly Moh. Hamed Denver University Ph. D. 1968

Le Théâtre Philosophique de TAWFIK H.
CRITIQUE Novembre 1952

Mort Resurrection Une lecture de TAWFIK
AL HAKIM JEAN FONTAINE Bcslama Tunis 1978

Plays Prefaces & Postscripts of TAWFIK H.
Vol. 1 Theatre of the Mind — W. M. HUTCHINS
Three Continents Press 1981 U. S. A.

TAOUFIK AL HAKIM Bibliografitcheskii
Ukazateli MOSCOU 1968/Le Livre K. O. YONUZO

Dramaturgia TAOUFIKA AL HAKIMA
MOSCOU 1976 Le Livre K. O. YONUZO

Influences étrangères dans l'œuvre de T. H.
Ahmed Yassine Maitrise es, lettres
ALEXANDRIE Juin 1972

(*) إلى جانب المراجع والدراسات العربية القيمة عن فكر
المؤلف وهي معروفة للقارئ العربي الكريم .

الأحاديث الأربعة

هذا الكتاب « الأحاديث الأربعة » يضم الأحاديث التي نشرت بعنوان: « مع وإلى الله » والتي أثارَت الضجة المعروفة بين الناس ... مع أنها لم تخرج عن كونها نوعاً من المناجاة مع الله تعالى ... أستدرك وأقول: « إنها مناجاة بلغت الخاصة، وثقافتى الخاصة، تعبيراً عن حبي الخالص لربي »^(١)؛ فإن أقبل الفكر الذي يصدر بلا تفكير عن غير عقل الذي خلقه الله ليفكر، ولا أرتدى بلا مناقشة ما خرج من قلب وعقل الآخرين دون تأمل فيه وتمحيص ...

أما الضجة التي حدثت فهي طارئة ودخيلة على القضية التي سأفرد لها مكاناً نظراً لأهميتها ...

هذا وقد رأيت عند إعادة الطبع في هذا الكتاب إستبعاد كل الكلمات والأسطر التي كتبت تخيلاً منسوبة إلى الله ، مراعاة للحساسية الدينية التي لا أريد إطلاقاً أن تسبب إزعاجاً لأي مؤمن ... كما حرصت على تخريج الأحاديث الشريفة والأفكار التي وردت في الأحاديث الأربعة والتي قال عنها بعض العلماء إنها أحاديث موضوعية ، ضعيفة ، أو غير موجودة ؛ فعدت إلى المصادر التي استقيتها منها فإذا بها أحاديث حسنة الإسناد لا يكاد يخلو منها كتاب من أهيات الكتب الإسلامية ١١

والقضية التي يجب أن تناقش بجدية ، تتلخص في أن بعض علماء الدين يريدون أن يكون لهم وحدهم حق تشكيل عقلية الأمة على أساس العلم الديني الذي درسوه هم من الكتب المعتمدة لديهم طبقاً للنصوص التي قرأوها

وأقروها وحدها ... وقرأوها على طريقتهم ، أى منفصلة
عما استجد في العالم من معارف وإضافات .

وزاهم في نفس الوقت لا يعترفون لمن ليس منهم
بحق التوجيه والتشكيل لعقلية الأمة على أساس العلم
والثقافة العصرية ، بغير أن يكون هذا الأساس
العصرى خاضعاً لرقابتهم وموافقتهم ، وهم على ما هم عليه من
انفصال عن حركة الفكر في أزماته المتجددة ، دون تفريق
بين الثابت في الدين ، والتغيير بتغير الزمان والمكان ... في
حين أن رجال الرأي والعلم يجدون أن تشكيل عقلية
الأمة يجب أن تسهم فيه كل العناصر الإنسانية القائمة
على النشاط الذهني والشعوري للإنسان : من عقيدة دينية ،
وفكر علمي ، وأدب ، وفن ، وثقافة متجددة بتغير
العصور من قديمة وحديثة ، مادام الإسلام صالحاً لكل
زمان ومكان ...

والخلاف الأساسي هنا بين بعض علماء الدين

ورجال الفكر المعاصر : هو أن علماء الدين هؤلاء
يعتمدون فقط على العلم والثقافة التي كانت موجودة
في عهد النبوة بأسانيدھا للعمدة عن هذه الفترة ...
أما رجال الفكر ، فيعتمدون على ذلك أيضاً ،
ويضيفون إليه كل ما وصلت إليه العهود الحديثة من
علم وثقافة ...

إن تراث الأقدمين ليس إلا إفراز عقول وقلوب بشرية
حاشت في ظل معطيات حضارية تختلف عن يومنا هذا
بما حدث من إضافات الحياة المتجددة ...

وعليه فلا يجب أن نقف عند حدود تلك المعطيات الأولى
وحدها ، ونجعلها قيداً لأفكارنا أو حداً لا نتخطاه ...
فنظل مئات السنين ندور في حلقة مفرغة حول عصر واحد
فقط كأن الإسلام لا يصبح إلا له ولأفكاره وظروفه
وحدها : وهو عصر الإسلام الأول ، بنى عليه كل
تفكيرنا ، وننسى أن الإسلام صالح لكل العصور

والأزمان ، لأنه من اليسر^١ بحيث يصلح للحياة والتقدم
في كل عصر وزمان ومكان ...

والله تعالى أكبر ، وعلمه أوسع ، ورحمته أعمق ،
وغفرانه أرحب ...

توفيق الحكيم

شعبان ١٤٠٣ هـ

مايو ١٩٨٣ م

الحديث الأول

هذا الحديث مع الله ، لم أر مانعاً من نشره ، بإذن الله
طبعاً ...

فأنت تعرف يا ربّي أنه لم يبق لي وأنا في آخر أيامي
غيرك ...

وليس غيرك من أحب الحديث معه ، وأن يكون
آخر ما أكتب هو هذا الحديث ...

ولا يسقط القلم من يدي إلا وهو يخط اسمك
الأكرم ، سبحانك ، وأنت الذي أكرمت القلم
وأقسمت به ...

وبإذنتك ، أسألك أن يكون حديثي في كل شيء
شاهدته وفكرت فيه أثناء إقامتي في هذه الدنيا ،

دون حرج ... وأن تقويني على نشره في حلقات
أسبوعية ...

كل حلقة يوم الثلاثاء ...

ذكرى ابني الوحيد ...

الذي ولد في الشهر الثالث ...

وتوفي في الثلاثين من عمره ...

يوم الثلاثاء ...

والشكر والحمد لك يا من نفسي بيده ...

﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (٢)

(قرآن كريم)

نعم ياربي ... لن أكتمك حديثاً ... ولم يبق لي في
حياتي الآن سوى الحديث معك ... فقد عشت الحياة التي
قدرتها الى أكثر من ثمانين عاماً ... جعات أهيم خلالها
في كل واد، حاملاً قلماً أهلاً به الأوراق بين جد وهزل ...
ولا أظن أنني فعلت بذلك خيراً كثيراً ... ولكنني
أذكرك كثيراً ... وأتحدث إليك طويلاً ... وأعلم أنك
تسمعني ... لأنك سميع بصير ...

ولكن الحديث معك ليس يسير ... لأنك عليم
بكل شيء ... وما أقوله تعرفه ... وليس من حتى
أن أسألك إجابة أو رداً ... وليس لبشر أن تكلمه

أنت إلاوحيا.. ومن أكون أنا حتى تحدثني أنت بالوحي ١٠١
لن يقوم إذن بيننا حوار ، إلا إذا سمحت لي أنت
بفضلك وكرمك أن أقيم أنا الحوار بيننا : تخيلاو تأليفا ...
وأنت السميع ... ولست أنت المجيب ... بل أنا في هذا
الحوار المجيب عنك افتراضا ... وإن كان مجرد حديثي
معك سيغضب بعض المترمتين لاجترأى في زعمهم على
مقام الله سبحانه وتعالى ... خصوصا وحديثي معك
سيكون بغير كافة ؛ أى من القلب الصافى وحده ،
لا أتكلف فيه صنعة الأسلوب ... فأنا سأخاطبك مخاطبة
الحبيب لحبيبه ؛ الحب الذى ليس كئله حب ، لأنك أنت
ليس كئلك شئ ... وعندما سأل بعض المؤمنين نبيك
ﷺ عما إذا كانوا سيرونك فى الآخرة (٢) لم يُرد
أن يجيب أملمهم ؛ فلم يقل لهم : كيف ترون من ليس كئله
شئ ؟! وكيف وأنتم شئ ؟ أن تدركوا من ليس بشئ ؟! ...
وكيف وأنتم بشر ترون بعيونكم البشرية ما لا تراه

العيون ؟ ... وهل سنبتى فى الآخرة بعيون وأجساد بشرية ؟ ... أظن أنهم لم يسألوا ذلك ...

والقرآن الكريم قد ذكر فى سورة الأعراف^(٤) أن موسى قال : ﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظِرْ لِيكَ ، قَالَ : لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ ...

* * *

أما أنا ، فأسأل وأجيب : إن العالم الآخر عالم مستقل عن عالمنا الأرضى ، لن يكون رداؤنا فيه رداء بشرياً ، ولا قوانينه هى القوانين الأرضية ... وربما قصد العلماء أينشتين^(٥) بقانون النسبية شيئاً كهذا . — وهو من العلماء القلائل المؤمنين بالله^(٦) وليس كبقية العلماء الملحدين — لست أنسى قوله بالنص : « إنى أدين بالتبجيل كله لتلك القدرة العجيبة التى تكشف عن نفسها فى أضال جزئية من جزئيات الكون » ا ... كما لا أنسى قول العالم للعاصر

« كاستلر^(٧) » الذى يعمل حتى الآن فى كشف أسرار
« المادة » ، وألّف كتاباً قال فيه : « إننا كلما أوغلنا فى
دراسة المادة أدركنا أننا لم نعرف عنها شيئاً ... فسوف
يظل دائماً شىء فيها مخفياً عنا » فلما سألوه : مخفى بمن ؟
أجاب : بالله ! ... ثم وصف متاعبه فى استمرار البحث
بالقوانين المعروفة ، إذا اكتشف أنه بعد التوغل إلى أمد بعيد
توقفت القوانين عن العمل ، وأنه دخل فى مرحلة لم تعد تسرى
فيها هذه القوانين الطبيعية المعروفة فى الأرض ، مما جعله
يسأل نفسه : أترى علم الفيزياء الذى نمارسه ليس فى الحقيقة
علماً واحداً !! أى أنه يوجد علما ن كل منهما يعمل مستقلاً عن
الآخر : علم للرئيات ، وعلم للمخفيات ... أو بعبارة أخرى
علم للمحسوسات أو لهذه الدنيا ، وعلم فيزياء آخر لغير
المحسوسات ؛ أى لغير دنيا البشر ، أى للأخرة ... وكل منهما
له قوانينه الخاصة التى لا تسرى إلا على عالمه ؟ ...

معنى ذلك عندى أن انتقلنا إلى العالم الآخر سيضعنا

في عالم لا تخضع فيه للقوانين البشرية ... وقد جاءت إشارة إلى ذلك في قرآنك الكريم يا ربّي (سورة الطلاق) حيث قات في هذه الآية: ﴿اللهُ الَّذِي خَاقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٨). وجاء في تفسير «القرطبي»^(٩) نقلا عن «الماوردي»: «على أنّها سبع أرضين بعضها فوق بعض، تختص دعوة أهل الإسلام بأهل الأرض العليا، ولا تلزم دن في غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز».

معنى ذلك أن الأديان نسبية تختص بها أرض دون أرض، لأن البشرية نفسها نسبية^(١٠)... وكأنتك يا ربّي تلج إلى ما سوف يكتشفه العلماء بعد قرون في شخص أينشتاين.

كما أوحيت إلى رسولك محمد في قرآنك بقولك: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١١) والخشية كما فسرها بعض للمفسرين ترمز إلى التقدير والإجلال؛ حتى لقد قال أبو حنيفة^(١٢) فيمن قرأ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ﴾ بالرفع أي أن الله يخشى العلماء: أن في هذه القراءة استعارة؛ وللمعنى أن

الله « إنما يجلبهم ويعظم » ... وسواء أكان التقدير والإجلال من العلماء لله ، أم من الله للعلماء ؛ فإن المعنى هو أن هناك اتصالاً راقياً بين الخالق والمخلوق ... وهو جوهر العبادة الراقية للعقل الإنساني الراقى ، بارتفاعه إلى حيث يدرك قدرة الخالق وعظمته ...

وليس أدل على ذلك الإدراك والإجلال من كلمة ذلك العالم « أينشتين » فى قوله : « إنى أدين بأعمق الإجلال والتعظيم لهذه القدرة العجيبة التى تفصح عن نفسها فى كل جزئ من جزيئات الكون » ... وكلمة « كاستلر » عندما قال : « كلما ازداد تعمقنا فى دراسة تركيب المادة تضاعف اقتناعنا بأننا ما عرفناها ... فإن جزءاً منها سوف يظل إلى الأبد بعيداً عن تعليلنا لأنه مخفى عنا ... مخفى بمن ؟ مخفى بالبدأ الأوحى : الله ...

إن كل ما نعرفه عن العالم المحسوس لا قيمة له فى فهم العالم غير المحسوس ... وهكذا حيرة العلم والعلماء اليوم !

كلما توغلوا في العلم اقتربوا من المشوع لله ... وصدق
ياربى ما أوحيت به في قرآنك إلى نبيك ورسولك من أنك
تخشى من عبادك العلماء ... ولذلك أعتقد أنه من الطبيعي
والمنطقي أن مثل هؤلاء العلماء المؤمنين بك سوف يكون
مصيرهم مغفرتك وأنت الغفور (١٣) ...

والعلماء أقدر على إقناعنا بوجودك ووحدايتك من
الفلاسفة الذين لا يعتمدون إلا على لغتهم وحدها وهى فى
الغالب عاجزة أو ملتوية ... ولتقرأ مايقوله «ابن سينا» (١٤)
مثلاً فى واجب وجودك : « إن واجب الوجود يجب
أن يكون ذاتاً واحداً ... والذى يجب وجوده بغيره
فهو غير بسيط الحقيقة ... لأنه ليس الفرد وغيره زوج
تركيبى ... الخ الخ ... »

* * *

ولكن الله فى حديثى هذا معه جعل يستمع فقط ...
وتركى أوصل كلامى ... فقلت : ولكن ياربى بعض

رجال الدين عندنا يرون غير ذلك ... يرون مصير هؤلاء العلماء من غير المسلمين النار لأنهم لم يقولوا لا إله إلا الله شهادة لغوية ... مع أن العلماء قالوها بالممارسة وليس باللفظ ... ومارسوا قدرة الخالق ووحدانيته في أسلوبه المعجز في خلق الكون وقوانينه التي تدل على أنه الواحد، وأن أسلوبه الواحد في كل جزيء من جزيئات الخليقة لا يمكن أن يصدر عن غيره ... ومع ذلك سبق لك ياربي في قرآنك أن حذرت من الغلو في الدين (سورة المائدة) (١٥)، ولم يغفروا لمن قدرك، وهم لا يعرفون عنك إلا ما حفظوه من ألفاظ لغوية ... ولن يقدروك قدرك إلا بالاقتراب من أسرار خلقك ... ولن يتسنى ذلك إلا بلغة أخرى ... هي لغة القوانين العلمية ... ولذلك إذا سمحت لي بالتنبؤ فأني أتنبأ بأن رجال دينك في المستقبل سوف يكونون من بين رجال العلوم ... حتى يقتربوا منك عن طريق أسلوب الخلق وليس أسلوب اللغة وحده ...

وأنا آسف يا ربى أسفاً شديداً ، ولا اعتراض لى عليك ،
ولسكنها مجرد ملاحظة ، لماذا وأنا أحبك هذا الحب لم
تعطى لمعرفة غير وسيلة اللغة ، ولم توجهنى إلى دراسة
العلم ! بل لقد كنت أكره المواد العلمية وأرسب منذ
الصغر فى دروس الحساب ! ...

* * *

بمناسبة الحساب ... يوم الحساب ... هل هذا الحساب
للجميع ؟ طبعاً ... ألم يرد فى القرآن : ﴿ وما من دابةٍ
فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم ما فرطنا
فى الكتاب من شيءٍ نُمِّمٌ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (١٦) ...
يُحْشَرُونَ ! ... نعم ... إذن هو يوم حشر لهم
أيضاً ! ... لكن يا ربى هل هم لهم أخطاء ؟ ... طبعاً ،
يجب أن أعرف ذلك ، أليسوا مخلوقات ؟ ! ما من مخلوق
إلا وله أخطاؤه ...

ولسكن هل الجميع ؟ ... حتى الأنبياء ؟ ...

أعتقد أن الأنبياء معصومون ... معصومون من الفعل ،
وليس من النية ... لأن يوسف هتمت به وهمَّ بها (١٧) ...
أى تمت النية ولكنه توقف عن الفعل ... لأنه رأى برهان
ربه ، أى تدخات أنت ياربى وعصمته عن الفعل ...
أنت تعصم من تحب عن الفعل ... أما النية فهى
لصيقة الغريزة البشرية ...

وهل هناك حساب على النية ؟ ... طبعاً ... ولكنك
غفور ... ولماذا الحساب إذن ؟ ... لأنه القانون ... أساس
ونظام ... وأنت خالق الكون ... أى فوق القانون (١٨) ...
لا ... بل أنت خالق القانون الذى يتم به تركيب
الكون ... فإذا فسد القانون اختل تركيب الكون ...
فأنت لست فوق القانون ... ولكنك الحريص عليه ... لأنه
من خلقك ... ووليد حكمتك ... فعلاً ... حرصك ياربى على
قانونك هو إرادتك العليا ... لأن جوهر إرادتك هى
الكيونة ... هى الكون والوجود ، وخالود الوجود ...

ولذلك سلّحت كل موجود بأدوات وجوده ... ولنا نحن
 البشر جعلتْ ياخالقنا الحبيب أدوات وجودنا : الدين ،
 والعلم ، والغريزة ... وما نسميه الغريزة هي معرفة تكونت
 في أعماقنا منذ القدم ... وتكدست وتكلسّت ... وصارت
 تعمل تلقائياً مع وجودنا ... وأصبحت قوة لا يصدُّ طغيانها
 إلا الدين والعلم ... أما إرادتك الإلهية يا ربّي فهي التعادلية
 بين الثلاثة ، فلا تطغى قوة على قوة ، بل يعمل الكل معاً
 في بقاء الإنسان داخل نطاق التوازن الكوني والكينونة
 الكبرى ... وعبادتك يا ربّي ، التي يجسدها الدين ، هدفها
 الحقيقي ليس الإحسان إليك ، لأنك قائم بذاتك لا تحتاج
 إلى أحد ولا إلى شيء ، فقد قلتَ في قرآنك كثيراً :
 ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾ (١٩) ...

كما قلتَ : ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضلَّ
 فإنما يضلّ عليها ﴾ (٢٠) ... لأن الله يعلم أن البشر ضعيف
 ولكي ينقذ وجوده من القوة الطاغية التي لشيطان الغريزة

للمدمنة يجب أن يستمد قوة الوجود من الله الموجود
انخالد ، بذكره دائماً ، والاستعانة به ضد قوة الجاذبية
الغريزية المفسدة لتركيبه ... فالدين إذن أداة للإنسان ...
ولم يوجده الله إلا أداة تحافظ على الإنسان باقياً ، ضمن
التركيب الكوني الذي خلقه الله بقدرته وإرادته وحرص
عليه ... فالدين للعباد لنفعه ، وليس للمعبود العنى بنفسه .
وبعد ... إني لا أحدثك إلا بما أنت أعلم به منى ...
ولكن ، أو كان من الممكن أن أحادثك فيما لا علم لك به
وأنت ياربى العظيم العايم بكل شىء ... ولكنك لا تسأم
حديثى ، لأنك لا تعرف السأم ... فإنك سميع دائم السمع
للمغظ مخلوقاتك الكثيرة ، من أبعد المجرات إلى أصغر
الحشرات ...

الحديث الثاني

﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾

قرآن كريم

فانواصل الحديث يا ربّي العظيم ... لقد جاء في قرآنك
الكريم ذكر لأديانك الثلاثة وكتبها السماوية : التوراة
والإنجيل والقرآن ... اسمح لي أن أسأل : أكان من
الضروري أن تنزل هذه الأديان والكتب الثلاثة ؟ ...
لا بد طبعاً أن يكون لذلك حكمة ... ولماذا أسأل ؟
لقد خلقت لي العقل ... وهو أعجب مخلوقاتك ... خلقتة لنا
لنفسك به في حكمتك ...

ولقد فكرتُ ... ولكنني غير واثق برأيي ...

ما أقوله هو من عقلي ... والعقل الذي وضعته أنت

في رأسي درجات ... وأنا أذكر ما ورد عنك سبحانه
في حديث قدسي خاطبت به العقل^(٢١) : « ما خلقت خلقاً
أعجب إليّ منك ، وعزتي وجلالي لأكفلك فيمن
أحبتُ ولأنقصك فيمن أبغضتُ » ، ولست أنا على ثقة
من درجة حبك لي ، فكيف أثق إذن من درجة عقلي
الذي سأفكر به في شأن من شئونك ! ...

إيماني بوحدايتك نبع من إدراك عقلي لوحداية
أسلوبك ... فأسلوبك واحد لكل مخلوق حي : إنسان أو
حيوان أو نبات ... أوجدت معه وجوده نوعاً من المعرفة
الذاتية التلقائية في صورة الغريزة ... فأول ما يعرف هو
أين يجد طعامه ؛ فيمد يده إلى ثدي أمه ... وأين يجد الخطر
على حياته فيخاف من النار ...

لأن إرادتك العليا ياربي هي المحافظة على وجود
ما أوجدته ...

وهذه المحافظة تحتاج إلى معرفة ... وهذه المعرفة

توجد هات أنت فينا بالغريزة ، وأولى الغرائز فينا هي غريزة
البقاء مقترن بك ...

ثم يتم الوليد مرحلة الولادة ويبدأ يحبو ، ثم يدخل
مرحلة الإدراك الذي يخرج من ذاته إلى ما حوله ، ثم إلى
اللعب بما يقع في يده ، وقد يحطمه ... ثم يقف على
قدميه ويسير ، ويبدأ في النطق والأسئلة عما يراه ، ويدخل
في الطفولة وينمو إدراكه مع عضلاته فيدفعه ذلك إلى
النشاط في صورة اللعب ... كل ذلك في منطقة الحكم
الغريزي الذي يُسمى فيه عضلاته ويربى فيه مداركه الأولى ،
إلى أن يدخل في مرحلة الصبا فيزداد إدراكه بنفسه والعالم
الخارجي ، فيتاقى من أهله ومن أصدقائه ما يجعله يعيش
في مجتمع صغير له نظامه ومعتقداته ... إلى أن يخرج منه
إلى مرحلة الشباب فتتمو فيه العاطفة ، وينمو فيه من
المشاعر ما يُنتج لونا من الحياة فيه جماله ومثالياته ، ثم يدخل
بعد ذلك في مرحلة الرجولة فيتم فيه العقل واستقراره ...

وعلى هذا الترتيب وهذا الأسلوب أنزلت أنت ياربي
بحكمتك أديانك السماوية : أنزلت موسى والتوراة في المجتمع
الصغير بنظامه الطائفي وعقيدة الوحدانية التي تمت في مرحلة
الصبا الباكر للبشرية مع قوته المادية ، وكادت تطغى على قوة
العاطفة ... فجاءت مرحلة الشباب بعاطفة الحب والمثل العليا
في شخص « المسيح » . . . إلى أن رأيت حكمتك ياربي
أنه قد آن الأوان للبشرية أن تدخل مرحلة «الواقع» بمعرفتها
الحقيقة ذاتها بالعقل ، فجئت برسولك محمد في سن الأربعين
مكتملاً بتجارب الحياة ممثلاً للبشرية في كل عناصرها وقلت
له في قرآنك : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ ﴾ (٢٢) .

ومراحل البشرية هذه جاء وصفها في كتابي «شهرزاد»
١٩٣٣ حيث جسدتُ الغريزة في شخصية العبد ، وجسدتُ
العاطفة والقلب في شخصية قمر ، وجسدتُ العقل والفسكر
في شخصية شهريار ، وفي آخر المرحلة العقلية طغى العلم ،
ففضّل الإنسان ... وكانت آخر كلمة شهرزاد « هو العمل

على إعادته إلى البشرية » وهو ما جاء به الإسلام قبل ذلك ، ولم يفتن إليه المسلمون .

ومرحلة البشرية هي آخر مراحل الإنسان ، وفي هذه المرحلة تكتمل في الإنسان قوة تلك العضلة التي اسمها « العقل » الذي وصفته أنت ياربي بأنه أعجب ما خلقت ، لأن الإنسان به يعي ذاته وما حوله من خلقك... ثم يحال ماهية الأشياء والمخلوقات إلى أن يرقى إلى إدراك وجودك... وهذا الإدراك الدأى بالعقل هو قدرة الإنسان التي أردتها له ، ويتميز به عن سائر وجودك بوسائل أخرى غير العقل والتفكير... ولذلك أنت ياربي قد كررت ورددت في قرآنك كلمة « البشر » وكلمة « العقل »... ولم تجعل رسولك محمداً يقنع البشر بالمعجزات ، كما كان الحال مع الأنبياء الذين سبقوه ، عندما كانت البشرية في مراحل الطفولة والصبا والشباب ، ولم يكن قد حان الحين بعد لإقناع البشر بوجود الله ورسله بالإدراك

الفكرى وحده عن طريق العقل ... وهذه هي حكمتك ...
وقد نشرتُ في أحد كتبي « سجن العمر » « إننا نولد
في غيبوبة تامة من عقولنا ؛ فكل عضو يتحرك حين نولد
إلا الجزء الذى ندرك به الحياة التى هبطنا إليها ... ترى
ماذا كان يحدث لو أننا واجهنا الحياة بعقول مدركة
من اللحظة الأولى ؟ كنا نفقد عقولنا للفور من هول
الأعجوبة ... أعجوبة الحياة فى انكشافها المفاجيء أمام
القادم من عالم الظلام والعدم ، ولكن الحياة تتكشف لنا
على مراحل ... »

وهذا هو المعنى والسبب فى وصفك لرسولك محمد بأنه
خاتم الأنبياء ، وأن الإسلام خاتم الأديان السماوية ... لأن
البشرية بعد أن أذخاتها ياربى فى مرحلة المعرفة الفكرية
للخالق والمخلوق بعقلها المفكر فقد تركتها لهذا العقل ...
وهذه آخر مراحل البشرية ...

ثم أنك ياربى لا يمكن أبداً أن تلغى ما خلقت

وما أوجدت... ولذلك أبقيت كل المراحل السابقة موجودة في كيان البشرية والإنسان: فألى جانب العقل الذى توجت به وجوده؛ أبقيت معه الغرائز والعواطف، وجعلت لكل منها ضرورة نافعة، كما أن لكل منها ضرره إذا طغى...

وكان لا بد من الإسلام، وهو الأخير في أديانك، من أن تناط به مهمة التوازن والتعادل بين الثلاثة: العقل والعاطفة والغريزة... أى الفكر والقلب والمادة، وجعلت نبيك رسول الإسلام يمارس الثلاثة ويقول «حُبب إلى من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجُعِلت قرّة عيني في الصلاة» (٢٣).

وفي قرآنك تحذير دائم بعدم الطغيان والغلو والإسراف، مع السماح باستخدام هذه القوى الثلاث في حياة البشرية باعتدال.

ثم أنك يا ربى تذكر في قرآنك دائماً بهذا الترتيب: التوراة والإنجيل والقرآن... مع أن القرآن ختام كتبك

الساوية ... فما قصدك من ذلك؟ ... بقدر علمي وفهمي ،
 تريد أن تتذكر دائماً أن ما خلقت وأوجدت في
 الماضي لا تريد إلغائه أو إعدامه ... إنما أنت تضيف
 وتُعدّل ، ولا تلغي ما أوجدتَ ... فوجود موسى وعيسى
 قبل محمد ليس معناه إلغاهما ... وإلا ما كنت ذكرتهما
 بالتكريم في قرآنك الخالد... ولقد كانت المرحومة زوجتي
 تقرأ الكتب السماوية الثلاثة باعتبار أن القرآن ذكرها
 بالتكريم ، وهي حسنة الإسلام ... وكما جاء في سورة المائدة :
 « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تُقيموا التوراة
 والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ... » (٢٤) .

ولي صديق مسيحي كثير القراءة في القرآن .
 ولذلك أعتقد أنك تحب من رجال كل دين أن يقرأوا
 كذلك كل الكتب السماوية الأخرى ... فإذا امتنع عن
 ذلك أهل الإسلام بحجة التحريف في تلك الكتب
 الأخرى ، فليجددوا أما كن التحريف فقط وينهبوا إليها ،

ويعضوا في قراءة الباقي الذي لا ريب فيه ... أما الإهمال التام
لما ذكره الله في قرآنه ، فلا أظن الله يرضى عنه ... فالله تعالى
خلق الأديان السماوية لحكمة ...

قلايد من أن تتابع الله في حكمته حينما كانت ...

* * *

وأنت يا بن نفسي بيده ... وتعلم كل شيء عنى
— أنا مخلوقك الخليل المحب لدايتك العلية — كل اهتمامي
الآن هو تتبع حكمتك ... ولقد أرادت حكمتك حث
للمسلمين على قراءة كتبك السماوية للتقريب بين أديانك ...
كما لم تفرق بين أجناس مخلوقاتك ... فقد قال رسول الله
ﷺ لرجل : « انظر في وجوه انقوم » فنظر ، فقال له
النبي : ما رأيت ؟ فقال الرجل : رأيت أبيض وأسود وأحمر ،
فقال رسول الله : إنك لا تفضلهم إلا بالتقوى ! ... » (٢٥)
كما أن اللغة العربية ليست بشرط لدخول الإسلام ، فقد
أرسل نبيك صلوات الله عليه برسالة الإسلام إلى أدم لا تتكلم

العربية كالروم والفرس والحبش ... وأوصى بقوله : « اطلبوا العلم ولو في الصين »^(٢٦) ... أليس كذلك يا ربى ؟ ...
ولكن التفريق والتعصب والكرهية ربما كان
المسئول عنها الحكام وأتباعهم من بعض رجال الدين
المتعصبين ... ساعهم الله ...
لى سؤال يا ربى الكريم ... وقد يبدو كأنه اعتراض ...
وأعوذ بالله ... أعوذ بك أن أعترض على حكمتك ... فإن
حكمتك هى الكلمة التى أجد فيها الراحة والحماية إذا أصابى
عذاب أو ألم شديد ... فعندما فقدتُ ابنى الوحيد وأنا فى
شيخوختى ... وسرتُ فى جنازته ... لاحظت من يسير خلفى
ويحمل كرسيًا ... فقد اعتقد بعض المشيعين أن شيخاً
ضعيفاً مثلى لن يقوى على احتمال صدمة موت وحيد الشاب ،
وقد يسقط على الأرض فى أى لحظة ... وأنا نفسى لأعرف كيف
صبرتتى يا ربى ووضعت فى نفسى وجسمى القدرة على مواصلة
السير حتى المقبرة ، ولكنى أذكر أنها كلمة واحدة كنت

أرددها : «حكمتك أنت ياربى» ... نعم حتى الآن فيما يصيبنى
من ألم ليس لى من دواء إلا هذه الكلمة : حكمتك ...
لأنى أومن اليوم إيماناً راسخاً أن كل ما يصيبنى
هو « حكمة » من لدنك ، وعندئذ أرتاح ... وأعفى نفسى
من أى تساؤلات أو تعليقات ... إنها حكمتك وكفى ...
لأنك لا تقدر شيئاً ولا تقضى قضاء إلا وفيه حكمة ...
وكيف نرتقى نحن البشر إلى إدراك قضائك وقدرك ؟

حقاً ياربى ... الإيمان بك راحة ... ومن صفاتك
التي تمنحنى أكبر قدر من الراحة صفتان : الحكمة
والرحمة ... أما حكمتك فتتفنى للتسليم بقضائك ، وأما الرحمة
فتتفنى باللطف فيه ... وأنا دائماً أردد هذه العبارة :
« اللهم انى لأسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه » ...
وإنك تعرف مقدار شكرى لك وحمدى ... فقد كنت
معى لطيفاً رحياً ... ولكن العقل ، العقل ياربى ...
يقدر ما أعطيتنى الإيمان راحة ، أعطيتنى العقل جهداً ...

وهذا الجهد يأتي من حركة العقل ... هذا المولد الكهربائي
الأفكار ... وتيار الأفكار إما أن يُنتج وإما أن يَصعق ...
ولذلك له نتائج تتحمل نحن مسئوليتها ... فيها سعادتنا وفيها
شقاؤنا ... وعلاقته بالدين خطيرة ... فالدين عقيدة ثابتة ...
والعقل أفكار متحركة ...

وهذه الأفكار تلازمها أدوات التحليل ... وهذا التحليل
إذا مس العقيدة الدينية فتت أجزاءها ، فاهتزت وذهب
ثباتها ، وأصبحت ككل وجود عقلي يتعرض للمطالبة
بالدليل والبرهان ... وعندئذ يظهر الشك ... لأن كل مطالبة
بدليل أو إثبات معناه أن هنالك شكاً ... وأعوذ بك يا ربى
من الشك فى الدين ...

ولكن الشك أنواع ...

هناك الشك المغتفر ... الذى قال فيه إبراهيم :

« ليطمئن قلبى » (٢٧) ...

وهناك الشك الآثم للإنكار والإلحاد ...

ثم شك يتبخر بالإيمان ...

مثل شك عمر بن الخطاب ساعة أن علم بالإسراء وأنتك
ياربى أسريت بعبدك لئلا من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى ، والمسافة بينهما لا يمكن أن تقطع في ليلة ...
ورفض عقله أن يصدق ما حدث ... وكاد أن ينضم إلى الذين
كذبوا وشنعوا ، وقد علم أبو بكر الصديق بما كان من عمر
فأكده أن الإسراء حدث فعلا ... ووقع عمر في الشك
لحظة قبل أن ينتهى إلى الإيمان ...

وما حدث لعمر قد حدث لى أنا أيضاً في مرحلة من حياتى
نشط فيها العقل ونهض يؤدي عمله وهو عدم قبوله ما لا
ينطبق عليه منطقته وقوانينه ... إلى أن انتهيت إلى الإيمان
للمستقل عن القدرة البشرية والمتصل بالقدرة الإلهية ...

وعقلى الآن ياربى حدث له العجب ؛ أصبح يسير
اليوم مع الإيمان في طريق واحد ... فقد تقدم العلم العقلى
حتى استطاع الكشف عن بعض قوانين خلقك المعجزة التى

كانت مجهولة من قبل ... فأمن الكثير من العلماء اليوم بك
وبقدرتك وعظمتك ... وأصبح لهم الفضل في تقريبي إليك
بالطريق العلمي مع الطريق المغوى الذى كان كل وسيلتنا إلى
معرفتك في تلك المرحلة من مراحل المعرفة البشرية حيث
لم تشأ حكمتك دخول البشر في مرحلة العلم الوضعى
والتجريبي وقتذاك ...

وإنه ل يبدو لي الآن أن الطريق إليك في المستقبل سوف
يكون كذلك طريق العلم ، العمل والتجريبي ، لأن
اكتشاف المجرات التى تبعد عنا آلاف السنين الضوئية ،
لم يدركه علماء البشر إلا أخيراً بآلات الرؤيا الحديثة ...
ولا يمكن لأى لغة أن تصور لنا ذلك ... والله العظيم
هو خالق هذه المجرات ، والعلم هو الوسيلة الوحيدة لإدراك
ما خلق من هذه المجرات الضوئية ... والله وحده هو الذى
يسخر لنا وسيلة العلم لتدرك عظمته ؛ فكيف لانسى
بمشيئته إلى العلم في زماننا وكل زمان ومكان ... ويصدق

بذلك ما جاء في القرآن :

« إنا نختص الله من عباده العلماء » ...

ولذلك عندي الآن اقتراح :

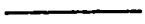
هو أن ينشأ قسم أعلى مستقل في جامعة الأزهر ، يُختار
له ما لا يزيد عن خمسين عالماً من المتفوقين في الرياضيات
العليا من فيزياء وكيمياء وفلك وغير ذلك (وقد سبق أن
حدث هذا قبل ذلك في ماضى الأزهر) مع التعمق في فلسفة
الأديان ، ويرسّلون للعمل فترة في معامل العالم المتخصصة
إلى جانب كبار العلماء المتخصصين في العلوم الكبرى ،
ثم يعودون لينقطعوا للبحوث العميقة في العلم والدين طول
حياتهم بمراتب تكون أكبر مراتب الدولة ، ويخصص
لهم من المعامل العلمية والمراصد الفلكية ودور العبادة
والمساكن من أحدث طراز ... وبهذا نضع القاعدة المتينة
للفلسفة العربية الإسلامية القائمة على العالمين : الدنيا والآخرة
في أرقى مظاهرها وخصائصهما ... وبذلك يظفر العالم العربي :

مهبط الأديان ببركتك يا ربى خالق الكون ... ويصبح
للسلمون جديرين بالإسلام ... وقد قال ﷺ « لا ينبغي
للجاهل أن يسكت على جهله ، ولا للعالم أن يسكت على
علمه » (٢٨) ، ولكن بعض الكسالى من رجال الدين يسكتون
على جهلهم بما حدث للعالم البشرى من تقدم ، وأظهروا الإسلام
كأنه غير صالح إلا لزمان واحد هو الزمان القديم وحده ...
مع أنه صالح لكل زمان ومكان ، بمتابعة العلم في تجده .
والمثأمل للإسلام اليوم يجده أرقى من المسلمين ...
والقرآن لا يفهمون ما فيه ولا يعرفونه إلا كصوت جميل
من القارئ ، ورسول الله صلوات الله عليه هو القائل :
« وهل ينفع القرآن إلا بالعلم » (٢٩) ... ففهموا عكس
حكمتك يا ربى من أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ،
فقد فهموا أن معنى ذلك هو الوقوف بالإسلام عند مرحلته
الأولى ... وفسروا العلم بأنه العلم فى عصر النبوة فقط ...
فأثبتوا بذلك أنه صالح فقط لزمان واحد ... فى حين أن

ما قصده أنت يا خالق الكون هو أن الإسلام دين البشر كافة، صالح للتحرك في كل زمان ومكان، كتتحرك النجوم في السماء، وتحرك الإنسانية نفسها من درجة الجهل إلى درجة العلم... ﴿وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾^(٣٠)... و﴿الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾^(٣١).

وعلى رجال الدين أن يفهموا المسلمين أن صلاح الإسلام ليس في التجرد في زمن واحد مضى، بل في الحركة المتقدمة مع تنقية ما يفسد ويتعثر بالحركة الطائشة...

أخيراً ياربي، أثنياً للمسلمين إذا لم يغيروا ما بأنفسهم، فإنك كما نقلت المسيحية إلى روما سوف تنقل الإسلام الراق إلى حيث الرقي والعلماء الذين ورد ذكرهم في قرآنك بقولك: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»...



الحديث الثالث

« وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا »

قرآن كريم

متعتي الوحيدة الآن ياربى هي الحديث إليك ...

ولسكنك تجعلنى أسترسل مهتديا يارادتك ...

وكان حديثك فى قرآنك ، الذى كنت تحاطب فيه

رسولك والناس ، قد أسهبت فيه بالنصح والتنبيه والايضاح

كى تثير السبيل لدينك الجديد ... وقد اخترت للدين الجديد

أمة سبق أن أنزلت فيها دينين كبيرين ، هما اليهودية

والمسيحية ، فلم يتبعهما أكثر هذه الأمة الموعظة فى البداوة ...

حتى الحضارة المجاورة لهذه الأمة مثل حضارة الروم ، وحضارة

الفرس لم تنتفع بهما هذه الأمة قبل الاسلام ، هذا الدين الجديد الذى خلق منها خير أمة أخرجت للناس ... ولكن رسولك بهذا الدين لقي عنتا وجهدا في إدخال هذا الدين في قلوب أولئك الأجلاف وعقولهم ... ولكنها قدرتك ومعجزتك ياربى أن تختار ديناً راقياً كالإسلام لينزل في صحراء قاحلة وقوم بدائيين ... وكان لابد لحكمتك من أن تخاطبهم أحياناً على قدر عقولهم ... وكان أرقى ما اشتغلوا به وقتئذ هي التجارة ، فاستخدمت في جذبهم إلى دينك الجديد عبارات مغرية لهم مثل : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »^(٣٢) و « إن تُقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم »^(٣٣) مما عجبت له أول الأمر ... لأنى لم أقرض ولم أقرض سوى مرة واحدة ... فقد أقرضت ذات يوم بعيد مبلغ مائة جنيه لصديق طلبها منى (وكان من أهل الثقة والصلاح ، ومات شهيداً بعد أن أصبح قطباً دينياً) واطمأن قلبي إلى أن تقودى في أمان ، وسترد إلى

الأممى فى الدولة : « الجمهورية » و « النيل » قد منحتنا
لشخص واحد ... والأخيرة دُعيت ولم أذهب لتسلمها حتى
الآن ... لأنى لم أفعل شيئاً أستحقها عليه سوى كتب
لا تتفع ولا تضر ... ولكنك فضلك أنت وكرهك ...
ثم حبك للخلق مثلى ، ليس عندك أكثر من حشرة ...

هذا صحيح ... فقد كنت يوماً أنظر فى ورقة بيضاء
لا كتب عليها المرء الذى أكتبه ، فرأيت نقطة سوداء
دقيقة وضئيلة ، أضال من أى نقطة حبر ، فحسبت أن هذه
النقطة قد سقطت من قلمي على الورقة ... ولكنى رأيتها
تتحرك ، فدهشت وكذبت نظرى ، وأمعنت النظر فإذا هى
تسير فعلا ، ولكن ، كيف تسير هكذا ؟ ما هذه
السرعة ؟ وحسبت فى نفسى هذه السرعة بالنسبة إلى حجمها
الذى لا يكاد يُرى بالعين المجردة ، وقارنت بين حجمها
وحجمى فاتضح لى أنه لو كانت لى سرعتها لسكنت أسير
فى الطرقات بسرعة الطائرات النفاثة ! ... ما هذه القوة

الجبارة التي وضعتها بقدرتك في هذا المخلق الضئيل...
 وكم من المولدات الكهربائية يلزمي أنا الانسان لأسير
 بسرعة هذه النملة؟... ثم النحل، كيف تستطيع النحلة أن
 تصنع بغير أدوات من خارج جسمها هذه الأشكال الهندسية
 الرائعة في تكويناتها السداسية وتماؤها بالعسل؟ ثم...
 ثم... ثم... هناك ما لا يحصى من عجائب خلقك!

أيها الخالق الأعظم: أين امتياز الإنسان إذن؟... أفي
 معرفته لك وشعوره بك؟ ومن أدرانا نحن البشر أن النمل
 لا يعرف ولا يشعر؟ لقد صادفتُ مرة جماعة من النمل تسير على
 الأرض في اتجاه معين، فوضعت قدمي أمامها أسدبها طريقها،
 فرأيتها تتوقف عن السير وكأنها تفكر في أمر هذه العقبة
 التي اعترضتها... ثم دارت حول قدمي، واجتازت العقبة
 ثم استأنفت السير... إذن هي تشعر وتفكر... تشعر بالمشكلة
 وتفكر في الحل... فكيف لا تشعر بوجودك يا ربي؟!...
 كل الموجودات يا ربي تشعر بك... وكل المخلوقات

تسبح بحمدك ، كلٌ بطريقته ولغته ، كما جاء في التسبيح
في سورة الإسراء : ﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض
ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم ﴾ (٢٥) صدقت يا ربى العظيم ... وكل ما يصدر عن
مخلوق من حركة ومن صوت هو علامة حياة ... الحياة نفسها
رمز تسبيح ... حتى الإنسان له من الحركات والأصوات
ما هو تسبيح كبقية المخلوقات ، ونسميه نحن عبادات ، ونطلق
فيه من الألفاظ والعبارات ، ما عَبَّرَتْ عن رتبته واستغنت
عن مظاهره المخلوقات الأخرى ، التي تعبر عن فرحتها بالحياة
وحمدها الله للوجود بطريقة تلقائية ... بينما نحن نستخدم
التعابير اللغوية في شكل تواشيح وابتهالات ...

وإني لأسألك يا ربى : ونحن البشر لا نختلف كثيراً عن
بقية مخلوقاتك ، ويسرى علينا أسلوب الحياة طبقاً لقوانينك ،
وقوانينك هي من معجزاتك ، ومن البشر جهلاء عجزوا عن
فهم ذلك ، رأوا المعجزة في الاستثناء والمخروج على هذه

القوانين ... وأنت خلقت لكل قانون استثناء من القانون ،
فإذا هو قانون آخر بدأ يدركه العلماء اليوم من ذكرتهم
ياربى فى قرآنك ... إرادتك ذاتها قانون ، وقولك :
﴿كن فيكون﴾ (٢٦) مجرد الكينونة : قانون ، فأنت
لاتكسر ولا تحرق قانوناً لك ، فيسمى عند البشر معجزة ...
فهذه كلمة من صنع البشر مما يستحيل عليهم الإتيان به .
أما عندك فلا معجزة ، إنما الإرادة هى ما يصح أن يُنسب
إليك ... إرادتك هى كل شئ ... أين إذن امتيازنا ؟ أهو
فى غرورنا الذى انفردنا به عن كل مخلوقاتك ؟

كل مخلوقاتك يارب وضعت فيها نوعاً من العقل يفكر
ليحافظ على وجوده ... فإذا كان هناك امتياز لنا فهو
فى أسئلتنا ...

منذ الطفولة حتى النهاية ،

أقصد ياربى الأسئلة للإجابة ،

الطموح إلى المعرفة ...

لكنك القائل : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ (٣٧) .

— لماذا ياربي ؟ ربما كان ذلك رحمةً بنا ؟ ...

هل الغلو في العلم أكثر مما ينبغي مدمر لحياتنا ؟ .

أنت أدرى بحكمتك ياخالقنا العظيم ...

كل ما أسألك من نعمه هي حكمتك ورحمتك ...

* * *

لا أسألك متعة من متع الدنيا !

أعطيتني القناعة والاعتدال ، فلم أشعر بجرمان .

وفي الآخرة ...

لا أطلع إلى الجنة ، لأنها جزاء للمتقين ، وأنا لا أريد

جزاء ومكافأة على حبك وتقواك ...

والنار ...

لن يجعلها تمني ، فهناك رحمتك ...

وأنا واثق من مغفرتك ، وغير واثق من عدم ارتكابي

للمعاصي ، فأنا لم أرتكب كبائر ، ولكني مرتكب لكثير

من الصغائر ، وأكثر ما اقترفت من الشر هو بالنسبة
دون الفعل ... أما الخير فلا أذكر أني أدبته لابلية
ولا بالفعل ... لا أذكر لي خيراً ، أما العقاب فهذا قضاؤك ،
وعندئذ أقول : « ربُّ لا أسألك ردَّ القبضاء ، ولكن
أسألك اللطف فيه » ... وأنت الله سبحانه وتعالى اللطيف
الرحيم ... ودينك دين اللطف والرحمة ... والواجب الأسمى
لرجال دينك أن يغرسوا في قلوب الناس رحمتك ولطفك ...
وأن الحب لك وليس فقط الخوف منك هو المدخل لرضاك ،
ولكن أكثرهم يغالون في تصوير ما يخيفنا منك أكثر
من تصوير ما يحبنا فيك ، فأقاموا الإسلام على الخوف
أكثر مما أقاموه على الحب ... وما هذا هو الذي قصده
أنت ... ولا ما عمل من أجله رسولك ﷺ بقولك على
لسانه : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ (٢٨) ... والإكراه والسكره
لا يمكن أن يكونا أساساً صادقاً للحب والمعرفة ...

لقد بلغ الرسول بما يجعل المسلمين خير أمة أخرجت

للناس ... ولكن مع الأسف ... إن الإسلام أرقى من
 للمسلمين ... والمسلمون اليوم بعيدون عن قول نبيهم صلوات
 الله عليه : « تَفَسَّرُ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ » (٣٩)
 و « لا عبادة كتفكر » (٤٠) لأن الأذن عندهم أقوى من
 العقل ، ولَمْ يعرفوا قول الإمام الغزالي (٤١) في فضل العلوم
 العقلية على اللغوية : « إذ تدرك ، كما قال ، الحكمة بالعقل
 واللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع » ...
 ولذلك ياربني العزيز تخأف المسلمون على وجه الأرض ...
 لأنهم لا يفكرون ... ولا حتى في قوة الإيمان ... لأن
 الإيمان هو الذي أنقذ عمر بن الخطاب من شكه في الإسراء .
 وتعليقي على الغزالي في فضل العلم العقلي أن معرفة الله تعالى
 لا يمكن أن تتم بالعلم فقط ، لأن الله قال : ﴿ وما أوتيتم من
 العلم إلا قليلاً ﴾ ... فلا يمكن إذن إدراك الله بالعلم فقط إلا إذا
 أدخلنا الله في باب القليل الذي أوتيته الإنسان . وهو تعالى
 الأكبر الأعظم ... وهو بكبره وعظمته لا يُحشرف عقلنا
 البشري الصغير القليل ..

ولكن فلنصبر ... يوجد ليل ونهار في حياة الأوم ،
هذا قانونك ... وأنا بإرادتك اشتغلت بالقانون ... وكذلك
أبي ... لقد اشتغلت بكل شيء ... بلاه وهبة ... ولكني
كثير الأسئلة ... دون أن أظفر بإجابة ...

ومن أنتظر الإجابة ؟ ...

منك طبعا ... إني أحبك ، ومعنى حي لك :

معرفتك ...

إنك اصطفتي محمداً وأردته بشراً ، ولم تمنحه من
معرفتك إلا القدر الذي يحتمله البشر ... ويوم سأله قومه
عن الروح لم تكشف له عن سرها ، وأوحى إليه
﴿ قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ...

نعم ... نعم ... للمعرفة ...

ولكن ماذا أفعل بالمعرفة ؟

لست أدري ... أريدها ...

الناس تريد الجنة ... ويعبدون الله من أجلها ! ...

أما أنا لست أطلبها ... وهذا شقائي ...
المحال ، نعم أحب المطلق ...
أحب من لا يمكن أن تحبني ...
في شبابي نظرت إلى امرأة أحبها ... فرأيتها تنظر
إلى طويلا ، وتهمس كلمة واحدة : « مستحيل » ...
ولكنني أحب الجمال ... وأنت أيضاً ياربي ... وقد
علمتنا ذلك ... وقد قالها عنك رسولك : « إن الله جميل
يحب الجمال » ... وقالتها عائشة فيما روى عنها (٤٢) « كان نفر
من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريد
وفي الدار ركوة فيها ماء ، فجعل ينظر في الماء ويسوى
لحيته وشعره ، فقلت : يا رسول الله ، وأنت تفعل هذا ؟
قال : « نعم إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيء من نفسه ،
فإن الله جميل يحب الجمال » ...
كما جاء في أحد الأحاديث : كان رسول الله يسافر بالمشط
والمرآة والدهن والسواك والكحل (٤٢) ...

وأنت القائل يا ربّي : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن
تقويم ﴾ (٤٤) .

إن الجمال فعلاً من أروع مخلوقاتك يا ربّي العظيم ...
جعلته في الإنسان والحيوان والطبيعة ... وجعلته من
الروعة بحيث أوحيت إلى شاعر قال يصفه : « إن الجمال ليس
إلا أول درجات الهول » ... إنه شاعر ألماني (٤٥) من عبادك
المسيحيين المتصوفين فيما يبدو ... قرأت له في شبابي أيام
كنت أهتم جداً بالفن الذي وجهتني أنت إليه ، رحمة
منك بي وكرمياً ، فكلمنا انصرفت عنى المرأة صرفت عنى حبها
إلى حب الفن ... وجعلت من المرأة ، حتى وأنا أكرهها ،
خادمة لإلهامى الفنى ...

ولعل ذلك الشاعر الألماني الذى ذكرته كان واقفاً
في الحب ، ومات أيضاً بسبب الحب ... موته جديرة
بشاعر ... أراد أن يقدم إلى محبوبته وردة ، فاقطفها
من شجرة ، فوخزه شوكتها وسال الدم من أصبعه ...

وتسم الجرح فأت ... وهذه هي قصيدته :

« إذا هبتُ ،

فإنذا الذى يسمنى من بين طبقات الملائكة ؟

وحى لومنى أحدهم

وشاء أن يضمنى إلى صدره

لسقطتُ فى الحال ميتاً

من فرط سمو شخصيته وصدمة روعته .

إن الجمال ليس إلا أول درجات الهول

ونحن معشر البشر لا نكاد نحتمله .

وإذا كنا نعجب به هذا الإعجاب

فلأنه يزدرى أن يعنى بتحطينا

أو إلحاق الأذى بنا .

« إن كل ملك نحيف رهيب ! ... »

* * *

وجاء في كتابي « أُرِنِي اللهُ » عام ١٩٥٣ أن رجلا ذهب
إلى ناسك من رجال الدين وقال له : « أريد أن أرى الله ! ...
فأجابهُ أن الله لا يُرى بحواسنا الجسدية ... ولكنه
يتكشف لروحك إذا ظفرتَ بحبه ... فسأل الرجل : كم
مثلا ؟ ... فقال الناسك : حذار الطمع ، مستحيل لبشر أن
يطيق مثقال ذرة من حبه تعالى ، ولكني أسأل الله لك
ربع ذرة من حبه . واستجاب الله ... وإذا الرجل يفقد عقله
من قوة نور الله ، وحاول الناس أن يكلموه فلم يسمع ...
فقال الناسك للناس : « لا جدوى ... كيف يسمع كلام
الآدميين مَنْ كان في قلبه ربع ذرة من حب الله ! ! ...
والله لو نشرتموه بالمنشار لما علم بذلك ! » ...
إن ربع ذرة من نور الله تكفي لتحطيم تركيبنا الآدمي
وإتلاف جهازنا العقلي ! ...

الحديث الرابع

﴿ ولا يكتُمون الله حديثنا ﴾
(قرآن كريم)

أَلِهْمَنِي الصَّوَابَ يَا رَبِّي ... فَأَنَا أَخْشَى أَنْ أَكُونَ
مُخْطِئًا فِي حَدِيثِي إِلَيْكَ ...

فلقد أنشأت في هذا الحديث علاقة بذاتك العلية، ليست
مما يستسيغه الناس بين الخالق والمخلوق، ولم يفهموا أنها
مجرد مناجاة من مخلوق لخالقه ... مناجاة حب علوى ...
ليس مما يفهم أو يؤخذ بالمدلول العادى من أنه تطاول
على الذات الإلهية، وهو ما لا يمكن أن يخطر على بال
أى مؤمن بالله ورسوله ...

وحسبي الله ونعم الوكيل فيمن فهمنى خطأ ورماني
بالضلال ، دون أن ينتظر حسابك أنت ياربي يوم الحساب ...
ومع ذلك ألتمس منك المغفرة لمن ظلمني ، ولى إذا
كنت سهوت أو أخطأت ، وأنت الغفور الرحيم ...

وأنتهز الفرصة لأشكر الأزهر الشريف على دعوتي
لحضور الاحتفال بعيده الألفي ، مما أشعرتني بأنه لا يعتبرني
من الضالين ...

وأنا لإدراكى أنك تعالى ليس كمثلك شيء ، ولا أرى
أى وصف مناسب لعظمتك وارتفاعك ... فقدرتك التي
خلقت من الكائنات ما لا يمكن لعقلنا البشرى أن
يحيط بحجمه ، تجعلني بالنسبة إليك أضال بكثير الكثير
من أضال حشرة ... ولكن حرصك على وجودنا وحبك لنا
باعتبارنا من موجوداتك هو الذي أشعرتنا بأهميتنا لك ،
وأنت وجهت الأمر إلينا لتعبدك ، في حين أننا في
إحسامى بك ونظري أنا مجرد ذرات غبار ... غبار بشرى ...

وتلك الذرات من الغبار البشرى هائمة في ملكوتك ...
وعندما شاء كرمك أن يرفع من شأن ذرات الغبار البشرى
فيتكامل ويتجمع كالغبار الكونى ويصبح نجوماً تدور
في أفلاك كينونتك ، تمت إرادتك ، وتكونت مجموعات
البشر ... وأردت تنظيمها وضبط مساراتها ، فأرسلت إليها
الرسل ... فأدركت ذاتها ، وضخمت من هذا الإدراك
للذات ... ثم أدركت وجودك على نحو صغّر شكلك
وضغط حجمك لتحشره في مفهومها الضيق : هذا المفهوم
المحدود الذى جعل الخالق غير المحدود هو الذى يسأل
المخلوق العبادة والحمد والتعظيم ... رغم أنك قلت فى قرآنك
﴿والله هو الغنى الحميد﴾^(٤٦) وفسر ذلك المفسرون العارفون :
«الله الغنى عن خلقه وعن عبادتهم ، وإنما أمرهم لينفهمهم» ...
وهذا فى الحق الغرض الحقيقى من عبادة الله ... إنها ليست
للتعظيم الله (لذاته تعالى) فهو غنى عن كل تعظيم ...
وبالبشر الذى يزعم ذلك لا يقدر الخالق قدره ... إنما العبادة

لمنفعة العابد، ومنفعة العابد في تعلمه من الله كيف يحافظ
 على بقاءه... وبقاؤه داخل في نظام الكون... ونظام
 الكون بيد الخالق الأعظم... ولذلك أعطى الخالق
 كل مخلوق قدراً من الإدراك للمحافظة على بقاء
 النظام الكوني كما خلقه الله تعالى...
 سبحانك ربي...

* * *

في شبابي... كنت كثير الإقامة في مسجد السيدة.
 زينب... أصلى وأطلب معاونتك لي في الدراسة، وفي كل
 شئوني... إني لا أكتمك شيئاً...

وحدث أيضاً في هذا المسجد أني قمت بالتمثيل...
 إلى والله... مرة واحدة... كنا في سنة ١٩١٩... وكنا
 نحن الشباب تنوى القيام بمظاهرة ضد الإنجليز... ولاحظنا
 أن بعضاً من زملائنا يهيم بالتسلل لعدم الاشتراك
 في المظاهرة، فجئناهم في المسجد وأغلقناهم علينا إلى حين.

موعد للظاهرة ... وخفنا أن يتطرق الملل إلى المنتظرين ...
فاقترح أحدهم أن نشغلهم بشيء يلهمهم ، وكانوا يعلمون أنى
من هواة فن التمثيل ، فصاحوا يطلبون منى فصلا مسرحياً ،
فقممت أنا وصديق لى من الهواة ومثلنا مسرحية « لويس
الحادى عشر »^(٤٧) وقت أنا فى دور « لويس » أصبح فى
القائم بدور « الكونت نيمور » الثائر ضد الملك لويس ...
ولويس ، أى أنا ، أهده بقولى : « إياك واللعب بالنار
يا كونت » ... وأتوقع تصفيق الإعجاب من المشاهدين ،
وإذا بى أقابل بالوجوم البارد ، والصباح يطلب فصلا مضحكاً
وكان لا بد من القيام بالفصل المضحك ... فقممت به ...
وما كسدت أنتهى حتى دوى تصفيق الاستحسان من
أرجاء المسجد ... فتكدرت كدرأ شديداً ... ولعنت
التمثيل والمشاهدين الذين صفقوا للهزل وتركوا الجد ...
ولم أعد لها بعد ذلك ...
واندمجت فى سماع التلاوة من الشيخ ندا أشهر انقارئين .

في ذلك العهد ... خاصة في سورة « الكهف » يوم الجمعة ...
ولعلها رسبت في خاطري منذ ذلك الحين ، إلى أن جسدتها
في تمثيلية بعد عشر سنوات هي « أهل الكهف » ...

وقد دفعتني يا ربى إلى شيء آخر ... الحمد لك يا ربى ...
فقد كان التمثيل وقتذاك في بدايته غير محترم ... دفعتني
إلى طريق الأدب ، وأدخلتني المجمع اللغوى ...

ولكنى أنا اعتذرت عن دخوله أول الأمر مما أغضب
رئيسه أحمد لطفى السيد^(٤٨) وقال : « كيف يرفض الكرسي
الذى يسعى إليه كثيرون !؟ » ...

ثم وضعتني أنت يارادتك في كرسي « عبد العزيز
فهمى »^(٤٩) ...

وأنا في الحقيقة أحب هذا الرجل وأكرهه ... ولقد
أشدت به في حفلة الاستقبال ، لأنه أحد الثلاثة الذين
طالبوا الإنجليز باستقلال مصر : سعد زغلول ، وعبد العزيز
فهمى ، وعلى شعراوي ، وعلى أثر ذلك قامت ثورة ١٩١٩ ...

ثم لأنه اتصف بالشجاعة ... ولذلك قلت في كلمة استقبالي
مخاطباً أعضاء المجمع : « لقد وضعتونى مشكورين في كرسى
مخيف ؛ كرسى رجل من أشجع رجال مصر في التاريخ
للعاصر هو : عبد العزيز فهمى ... والشجاعة عند عبد العزيز
فهمى وسيلة لغاية أسمى وأشرف هى : « الحرية » ، والحرية
عند عبد العزيز فهمى هى حياته ... هى لحمه ودمه ...
هى فكره وروحه ... هى علمه وجهاده ... طلب الحرية
للوطن ... وطلب الحرية للفكر ... وطاب الحرية للغة ،
فلا عجب إذن إذا اعتقدت أنا أن هذا الكرسى الذى
افترن باسم عبد العزيز فهمى هو « رمز الحرية » .

ولكن هذا الكرسى كان قد آل إلى رجل آخر
هو « واصف غالى »^(٥٠) ...

واعتذر واصف غالى لاعتقاده أنه بعيد عن اللغة العربية ،
وعن البلاد ، لأنه يقيم فى فرنسا باستمرار ... فانتخبت فى
كرسيه ، ولما كانت استقالته قد تمت قبل استقباله وإلقائه

كلمة التنويه بسلفه عبد العزيز فهمي ، فقد أصبح للموقف محيراً
وبلا سابقة ، وهو حظي في الوقوع في المواقف المحيرة دائماً ،
فاستشير في هذا الموقف عضو الجمع و فقيه مصر اتقانوني
« عبد الحميد بدوي »^(٥١) فأفتى بأن أعتبر خلفاً للكرسي
الإثنين ، وأن أضمن كلتي تنويهاً بالاثنتين معاً ... ووصفت
هذا الكرسي بأنه « رمز للحرية » ومضيت في كلمتي قائلاً :
هذا الاعتقاد عندي دعمه وقواه الرجل التالي الذي آل إليه
هذا الكرسي . الرجل التالي هو : « واصف غالي » وواصف
غالي هو أيضاً — ولعلها مصادفة عجيبة — رجل من رجال
الحرية : جاهد هو الآخر في سبيل حرية بلاده (باعتباره من
الزعيل الأول في الوفد للصرى) ، وحافظ ما استطاع على
حرية حياته ، ولئن كان قد ترك هذا الكرسي — والجمع
أحوج ما يكون إلى علمه وأدبه — فقد فعل ذلك مدفوعاً بدافع
الحرية التي أحبها والتي أرادت له أن يقيم حيث يشاء ، وأن
يخدم وطنه وأدب وطنه على النحو الذي يحسنه وينفق مع

موأبه ... ولقد خدم فعلاً الأدب العربي خدمة جليلة ، فهو بفضل تمكنه من اللغة الفرنسية أسلوبياً وصياغة . قد استطاع أن يبصر الغربيين بما في الأدب العربي من روائع لم يفتنوا إليها ، ولم يقدرُوا قدرها . فنشر في باريس منذ سنة ١٩١٣ كتباً ثلاثة ، هي : « تقاليد الفتوة عند العرب » و « حديقة الأزهار » و « الدر المنثور » ... كتب نقل بها إلى الغرب فضائل الفسك العربي نقلًا مينا مشرقًا جعل ناقد فرنسا المشهور في ذلك الوقت « جول ليمتر »^(٥٢) يقول وهو شديد الإعجاب :

« إن الشعر العربي في مجال الإحساس والشعور ألقى شعر عرفه الإنسان . فالأمانة والصدق والشهامة والصدقة واحترام المرأة ، وقرى الضيف والسكرم ، وعظمة النفس ، والبطولة والفخر ، هي بعض ما يتغنى به ويعبر عنه هذا الشعر العربي ، وهو ما يسمو به فوق شعر الأمم الأخرى فحواله ونبلًا ... »

هذا بعض ما فعل واصف غالي ، فرفع شأن الأدب العربي

في بلاد الغرب ... وهو لم يزل هناك يواصل خدماته الجليلة
في هذا السبيل ، تاركاً كرسى عبد العزيز فهمي يؤول
إلى شخصي الضعيف بميراثه الضخم من فاخر الأعمال ،
وما انطوى عليه من معنى ورمز للوحدة الوطنية ... وشغله
بمن ينتمى إلى الإسلام ومن ينتمى إلى المسيحية ، كما شاءت
إرادتك يا ربى أن تجمع بين محمد ﷺ ومارية ...

و شاء كرم الله أن يترك لي هذا الكرسى ويترك لي معه
مهمة الكلام عن صاحبه الأول العظيم ، وهي مهمة رختها
عسيرة أول الأمر ، وإذا هي في الواقع لن تكلفني جهداً ...
فتاريخ عبد العزيز فهمي معروف لسك جميعاً ، لأنه تاريخ
مصر في جهادها السياسي وجهادها الفكري : أما جهادها
السياسي فوقف عبد العزيز فهمي منه خالد على الدهر ، فهو
أحد الثلاثة الذين ثاروا لحرية البلد ، وصاحوا في وجه
المستعمر تلك الصيحة التي أيقظت الوطن ... أما تاريخ
مصر الفكري ، فوقف عبد العزيز فهمي منه باق أيضاً

لا ينسى : فهو الذى ثار لحرية الفكر فى قضية على
عبد الرازق وكتابه عن الإسلام وأصول الحكم^(٥٣) ...
وقضية طه حسين وكتابه عن الشعر الجاهلى^(٥٤) ... كل
هذا معروف لكم أيها السادة ... ولا محل هنا للإطناب
فما هو منقوش فى الأذهان ... حسبنا أن نستخلص من هذا
التاريخ صفة عبد العزيز فهمى وهى روح الثورة من أجل
الحرية ... حرية الوطن ، وحرية الفكر ... إلى أن جاء هنا
فى هذا المجمع ؛ فاستيقظت فيه مرة أخرى روح الثورة من
أجل حرية جديدة رآها فى حاجة إلى صيغته وشجاعته : تلك
هى حرية اللغة ... فلم يكده عبد العزيز فهمى يستقر فى هذا
الكرسى بمجمعكم حتى لاحظ أن اللغة العربية الجليئة فى
بيانها ، العريقة فى قدمها ، تكاد تعتل وتمرض لطول
ما أغلقت عليها النوافذ ، خوفاً على صحتها ، ومحافضة على
سلامتها ... رآها كالعجوز المقيدة فى خلايلها ودمالها ،
الحبيسة فى حجرة من التقديس ، لا يدخلها هواء الحياة

ولا شمسُ العصر ، خشية عليها من تقلب الجو ... فهض فارس
الحرية ، وأراد أن يمد يده إلى النوافذ يفتحها لنسائم التجديد ،
وهو يقول في ذلك : « إن اللغة كأن كالسكائنات الحية ،
ينمو ويهرم ويموت ، مخلفاً ذرية لغوية متشعبة الأفراد ،
هى أيضاً فى تطور مستمر ... ولم يستطع قوم للآن أن
يغالوا هذه الظاهرة الطبيعية ... فإن التطور يكبح شراسة
من غالبه » ... إيمان عبد العزيز فهمى بالتطور ، أى بالتجدد
وهو شيخ فى الثمانين يدل على أنه كان رجلاً عظيماً حقاً ...
وعندما أقول إنه عظيم لا أعنى المعنى اللبندل ، بل أعنى المعنى
العميق للكلمة ، ذلك أن من صفات العظمة شباب التفكير ،
أى الإحساس بالتجدد ، أى مغالبة الزمن ، أى سبق
العصر ... كل العظماء بلا استثناء كانوا مجددين أى سابقين
لعبورهم ، مغالين للزمن والهرم والجمود ؛ لأن عظمة الإنسان
هى فى الانتصار على الزمن ، وخير مظهر للانتصار على الزمن
هو شباب الفكر الدائم ، وتطور التفكير المستمر .

ولتحض في الإصغاء إلى عبد العزيز فهمي ، وهو يتكلم عن التجديد والتطور في اللغة ؛ قال : « إن رسم الكتابة العربية هو الكارثة ، إنه رسم لا يتيسر معه قراءتها مضبوطة حتى تخير المعلمين ... وخطر بفكر أحد زملائنا أن يعالج المسألة من جهة الإعراب ، وذلك بحذف حركاته وتسكين أواخر الكلمات ... وقد قرئت آية : ﴿ ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ﴾ ^(٥٥) مثلاً في القرآن الكريم بتسكين القاف في الكلمتين ... وهكذا يمضى عبد العزيز فهمي في بيان صعوبات اللغة العربية التي تعرقل انتشارها ... وقد أدركها القدماء أنفسهم ؛ وكان عبد الملك بن مروان ^(٥٦) يقول : « شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن » ، وكانوا يقولون : « سَكَنُ تسلم » ، وقال ابن الأثير ^(٥٧) في كتابه : « المثل السائر » : « إن الإعراب ليس شرطاً للبلاغة ، وليس اللحن قادحاً في حسن الكلام » . وقال مثل ذلك ابن خلدون ^(٥٨) الذي رأى أن الوقف لا يجافي البلاغة ... ولكن عبد العزيز فهمي أراد أن يحل

العقدة بسيف شجاعته فقدّم اقتراحه المشهور بترك الحروف العربية واتخاذ الحروف اللاتينية ... وأذكر أنّى وافقته في ذلك الوقت ، ففضل — رحمه الله — وزارنى في مسكنى ، وكان يومئذ حجرة في نزل بأعلى عمارة ... فأشفت على شيخوخته من الصعود ، وأسرعت إليه وهو فى سيارته وركبنا معاً ، وجعل يشرح لى نظريته وأنا أوافق ، ولا يخطر على بالى أنّى سأكون يوماً فى موضعه من هذا الكرسي وأواجه الناس علناً بهذا الرأى الخطير ، الذى لا يمكن الدفاع عنه . وإن كنت مستعداً للدفاع عن الرأى الآخر الأبسط ، وهو تبسيط قواعد النحو وتيسير القراءة والكلام بغير تعثر ولا تفكير ... والتطور فى رأى سيدأ بداية لطيفة مقبولة : وهى أن الفصحى ستحتفظ بخير ما فيها ، وستستعير من العامية خير ما فيها ...

* * *

ولكنى أكره من عبد العزيز فهمى أشياء :

أولاً عبارة أدهشني منه هو بالذات ، قالها أتماء أن كنا
معاً في سيارته يقوم بشرح نظريته في اللغة ، قال إنه
ذهب إلى البرنس محمد علي ولي العهد ليحادثه بشأنها ، وقال له
بالنص الذي أدهشني : « أتم يا صاحب السمو أسيادنا وأولاد
أسيادنا » رت هذه العبارة في أذني ولم أستطع نسيانها ...
ولكن بطرح الدهشة ، وبالدراسة للموضوعية ، وبالتفكير
المتأنى ظهر لي أن الأمثلة كثيرة لذلك :

ففي فرنسا كاتب الحرية الأكبر « فولتير »^(٥٩) كان
يعيش في كنف ملك أجنبي ...

وفي ألمانيا كان « جوته »^(٦٠) العظيم وثيق
الصلة بالقصر الملكي ...

وشاعرنا العربي للتنبي مع سيف الدولة^(٦١) ...

وفي مصر علمت من طه حسين أنه كان يرسل النسخة
الأولى لسكتبه إلى السراي الملكية ...

والعقاد^(٦٢) الذي سجن لموقفه الشاخ من الملك فؤاد له

قصيدة أمام الملك فاروق عندما زار العامرية ، والعقاد
ممنلا لها في البرلمان ...

إذن العلاقة بين رجل الفكر ورئيس الدولة مسألة
شخصية لا تؤثر في حرية فكر المفكر ... ولكسنا
اعتدنا أن نرفع من نجب إلى مثل أعلى شبه معصوم ، وأن
تخفيض من نكره إلى حضيض مجرد من كل منزلة ...

الأمر الثاني الذي لأغتره له هو أنه السبب في هدم
وحدة الحركة الوطنية بالانشقاق على الوفد المصرى بحجة
أن سعد زغلول كان يستبد برأيه ، ولولاه لأصبح الوفد
للمصرى مستمراً كما استمر حزب المؤتمر في الهند ...
ولكن عبد العزيز فهمى كان عصبى المزاج ، فلم يستطع
التماسك والصبر على ما لا يعجبه ليتحاشى الانشقاق
والانقسام ...

لم أذكر ذلك طبعاً في كلمة الاستقبال بالجمع ، لأن من
تقاليد الجمع أن تكون الكلمة للتبويه بصاحب الكرسي ،

سواء القديم أو الجديد ... والتقديم ينوه به الجديد ،
أما الجديد فيستقبله من رشحته ... إلا في حالي : فقد حدث
أن الذى رشحني كان أحمد أمين^(٦٣) ومعه الدكتور منصور
فهى^(٦٤) ، بينما الذى استقبلني لم يكن أحدهما ... فقد
حصل أن اتصل بي تليفونيا الدكتور طه حسين وسألني :
هل لدى مانع من أن يكون هو الذى يستقبلني ؟ فوافقت
لعلمي بحرص طه على تقديم واستقبال من يختارهم ، وقد
سبق أن اختار هو استقبال وتقديم الدكتور عبد الحميد
بدوى باشا ، مع أنه رجل قانون ... وقد تكلم طه حسين
عني منوهاً بكرمى ... وناقياً عني صفة البخل التي
ألصقت بي ... وعلت بعد ذلك أنه أشاع أني غضبت من
كلمته لإعلانه أني كريم ! ...

تمت الأحاديث الأربعة

أنا مسلم... لماذا؟

(لما جاء في الإسلام من عناصر ثلاثة :

الرحمة * العلم * البشرية

وقبل ذلك وفوق ذلك لأنى أشهد

أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)

نم لأنى مؤمن بالرحمن الرحيم ، وهى الصفة التى

وصف الله تعالى بها نفسه ، ونكرها فى كل ساعة :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « فقل سلام عليكم كتب
ربكم على نفسه الرحمة »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « قال ومن يقنط من رحمة
ربه إلا الضالون ... »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « قل يا عبأى الدين أسرفوا
على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ... » وقوله تعالى :
« وأدخِلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ... »

* * *

ولأنى مؤمن بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ لا يرحم الناس لا يرحمه الله »

وقوله : « عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت
جوعاً ... »

وقوله : « من رحم ولو ذبيحة رحمه الله يوم القيامة ... »
وقوله : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش ،
فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث
يأكل الترى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا
الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فلأ
خفه فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له . قالوا : يا رسول الله
إن لنا في البهائم أجراً ؟ قال : « في كل ذات كبد
رطبة أجر » .



ولأنى مؤمن بقول النبي ﷺ : « أترون هذه طارحة
ولدها في النار ؟ قلنا : لا ، وهي تقدر أن لا تطرحه ...
فقال : « لله أرحم بعباده من هذه بولدها » .



ولأني مؤمن بدعاء رسول الله ﷺ : « اللهم رحمتك ،
 أرجو ، ولا تكن لي إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني
 كله ، لا إله إلا أنت . »

* * *

ولأني مؤمن بما رواه أبو هريرة قال : سمعت رسول الله
 ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده
 تسعة وتسعين جزءاً ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن
 ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع القرسُ حافرَها عن
 ولدها خشية أن تصيبه ... »

* * *

ولأني مؤمن بقول الله تعالى : « اقرأ وربك الأكرم
 الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ... »

* * *

ولأني مؤمن بقوله تعالى : « قالوا سبحانك لا علم لنا
 إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ... »

* * *

وقوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجات » ...

* * *

وقوله تعالى : « كذلك إنما يخشى الله من عباده
العلماء » ...

* * *

وقوله تعالى : « وقل رب زدني علماً » ...

* * *

ولأنى أو من بقوله تعالى : « ... ويتفكرون في خلق
السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ... »

* * *

ولقول رسول الله صلاة الله عليه وسلامه : « لا عبادة
كـتفكر » وقوله : « وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ! »
وقوله : « أطلبوا العلم ولو فى الصين » ...

* * *

وقوله تعالى: « خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا » ...

* * *

وقوله تعالى: « كلوا من طيبات ما رزقناكم
ولا تطغوا فيه » ...

* * *

وقوله تعالى: « ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله
لغنى عن العالمين » ...

* * *

وقوله تعالى: « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن
ضلّ فإنما يضلّ عليها » ...

* * *

وقوله تعالى: « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون » ...

* * *

وقوله تعالى : « فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون »

* * *

وقوله تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ... »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما ... »

* * *

وقوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ... »

* * *

وقوله ﷺ: « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا
أكلنا لا نشبع ... »

* * *

ولأنى مؤمن بقول الرسول صلوات الله عليه : « أنتم
أدرى بأهـور دنياكم . »

* * *

ولأنى مؤمن بما جاء فى القرآن الكريم : « قل يا أهل
الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل
إليكم من ربكم ... » و « إن الدين آمنوا والذين هادوا
والصائبون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل
صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . »

* * *

وقوله ﷺ: « لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله،
ولا للعالم أن يسكت! على علمه . » وقوله: « فضل العلم خير
من فضل العبادة » وقوله: « من عليمَ علما فسكتمه أجمه

الله يوم القيامة بلجام من نار» ...

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب

لا تغلوا في دينكم غير الحق ... »

* * *

ولأنى مؤمن بالحديث الشريف : « لا تؤمنوا حتى

تجأوا » ...

* * *

وقوله ﷺ : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم

وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر

الجسد بالسهر والحمى » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقول رسول الله ﷺ : « إن الله يحب

إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » ...

* * *

ولأني أومن بقوله صلوات الله عليه : « إن الله بعثني
لتأتم مكارم الأخلاق » ...

* * *

ولأني أومن بقوله صلوات الله عليه : « إن الله جميل
يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده » .
كما جاء في قوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » ...

* * *

ولأني أومن بقوله صلى الله عليه وسلم : « تفكروا
في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره »

* * *

ولأني مؤمن بقوله تعالى : « ولا تنس نصيبك من
الدنيا » ...

* * *

ولأني مؤمن بقول رسول الله : « أما والله إني لأخشاكم
لله وأتقاكم له ، لكنني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ،

وأزواج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .
 وقوله : « حُبُّ إِيَّ النَّسَاءِ وَالطَّيِّبِ وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي
 فِي الصَّلَاةِ » ...

* * *

ولأنني مؤمن بحُلق رسول الله البشر ﷺ فيما رواه
 البخاري ومسلم^(٥) ، قالا : « استأذن عمر بن الخطاب على
 رسول الله وعنده نسوة من قريش يكامنه ويستكترنه
 عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر قن فبادرن
 الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فدخل عمر ورسول الله
 يضحك ، فقال عمر : « أضحك الله سنك يا رسول الله !
 فقال النبي : « عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن

(٥) هذا الحديث حسن الإسناد يروى أن النسوة في حضرة
 النبي كن بنير حجاب ، وأن المقصود في الإسلام قوله تعالى :
 « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » ... والزي الإسلامي معروف .
 فلماذا التلو في الدين بما اتشر اليوم من بدع في الزي والتخفي ؟ ...

صوتك ابتدرن الحجاب » ، فقال عمر : « أنت أحق أن
يهين يا رسول الله » ثم قال عمر : « يا عدوات أنفسهن ،
أتهبنني ولا تهين رسول الله ﷺ » ؛ فقلن : « نعم ... أنت
أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ » ... فقال رسول الله :
« إيهما يا ابن الخطاب ، والذي نفسى بيده ما لقيك الشيطان
سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » ...

* * *

ولأنى مؤمن بما قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به
خيراً يفقهه في الدين » و« إنما العلم بالتعلم » وقوله : « من
سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » ..

* * *

ولأنى مؤمن بما روى عن عائشة أنها قالت :
« ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما
ما لم يكن إثماً ... » ولما جاء في حديث صحيح : « خير دينكم
أيسره » قالها ثلاثاً ...

* * *

ولأنى مؤمن بما قاله رسول الله ﷺ : « لكل شىء
دعامة ودعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته ،
أما سمعتم قول الفجار فى النار : ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل
ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ ...

ولما رواه أبو هريرة قال : « لما رجع رسول الله ﷺ
من غزوة أحد سمع الناس يقولون : فلان أشجع من فلان
وفلان أبلى ما لم يبلى فلان ونحو هذا ، فقال رسول الله
ﷺ : أما هذا فلا علم لكم به ، قالوا : وكيف يارسول الله ؟
فقال : « إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل ،
وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم ، فأصيب منهم من
أصيب على منازل شتى ، فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل
على قدر نياتهم وعقولهم » ...

وعن عائشة قالت : قلت يارسول الله بم يتفاضل الناس
فى الدنيا ؟ قال : بالعقل ، قالت : وفى الآخرة ؟ قال : بالعقل ،
قالت : أليس إنما يجوزون بأعمالهم ؟ قال ﷺ : يا عائشة

وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل ، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم ، وبقدر ما عملوا يُجزون « ... »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى في حديث قدسى : « يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقول الرسول ﷺ : « يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » ...

* * *

ولأنى أومن بقوله تعالى في قرآنه الكريم : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقوله تعالى : « سيجعل الله بعد عسر يسرا » وقوله : « فإن مع العسر يسرا ... إن مع العسر يسرا » ...

* * *

ولأني مؤمن بدعاء الرسول ﷺ نقلا عن عائشة أنها
 رأت النبي يدعو رافعا يديه يقول : « إنما أنا بشر
 فلا تعاقبني ، أيما رجل من المؤمنين آذيته أو شتمته
 فلا تعاقبني فيه » ...

* * *

ولأني مؤمن بدعاء رسول الله ﷺ في دعوات
 المكروب : « اللهم رحمتك أرجو ، ولا تسكنني إلى نفسي
 طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت » .

* * *

ولأني مؤمن بقوله ﷺ : « عَاسَمُوا وَيَسْرُوا ، عَاسَمُوا
 وَيَسْرُوا » (ثلاث مرات) « وإذا غضبت فاسكت » (مرتين)

* * *

ولأني مؤمن بما قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ :
 « عَاسَمْنِي دَعَاءَ أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي . قال : « اللهم إني ظلمت نفسي
 ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي من عندك

مغفرة ، إنك أنت الغفور الرحيم » ...

* * *

ولأني مؤمن بقول رسول الله صلوات الله عليه :
« ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى
ويردّه عن ردى ، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى
يكمل عقله » ...

* * *

ولأني مؤمن بقوله تعالى : « إن أريدُ إلا الإصلاح
ما استطعتُ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أئيب » .

* * *

ولأني مؤمن بما جاء في خطبة رسول الله ﷺ : « طوبى
لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » .

* * *

ولأني مؤمن بما جاء في القرآن الكريم : « وإن طاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

* * *

ولأني مؤمن بقوله تعالى : « واصبر وما صبرك إلا بالله
ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون » ...

* * *

ولأني مؤمن بقوله تعالى : « وجادلهم بالتي هي
أحسن » ...

* * *

ولأني مؤمن بقوله تعالى : « وإن كان ذو عسرة فنظرة
إلى ميسرة » ...

* * *

ولأني مؤمن بقوله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب » ...

* * *

ولأني مؤمن بقوله تعالى : « لا إكراه في الدين » .

* * *

ولأني مؤمن بقوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة
وسطا » ...

* * *

ولأني مؤمن بقوله تعالى : « من اهتدى فإنما يهتدى
لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عابها ولا تزر وازرة وزر أخرى.
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ...

توفيق الحكيم

روجعت الأحاديث بعناية : (الناشر) .

هو امش الأحاديث الأربعة:
والفضايا الدينية التي أثارها

(١) حديثي مع الله وإلى الله ، في مقالتي الأربعة ، التزمت فيه أدب الحديث مع ربي :

١ — كررت أكثر من مرة أنه لم يخاطبني ، وإنما أنا الذي أجيب مستلهماً ما يمكن أن يكون ردّ الله على تساؤلاتي مستلهماً من قرآنه الكريم ، وسنة نبيه صلوات الله عليه .

٢ — تأويلي لبعض الآيات في حديثي استقيته من أمهات كتب التفسير ، والأحاديث استقيتها من أمهات الكتب الإسلامية .

٣ — الردود التي نسبت تحيلاً إلى الخالق راعيت فيها أن تكون مقتضبة مثل « أكل » ، « استمر وأنت المحاسب على ما تقول » ، أو آية مثل ردّه على بقوله « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » الخ... سامح الله من أساء فهمي ، ومن أساء الظن بقصدي ، ومن افتري على ما لم أقله ، ومن أراد تنفيري من الإسلام دين السباحة واليسر...
٤ — يهمني أن أشير إلى دهشتي مما وجدت ضمن كتابات السابقين من مفكري الإسلام ومتصوفيه زوّقوا الأحاديث ونسبوها

إلى الله شعراً وشرأ في أساليب جريئة مما لا أتصور إقداحي على .
مثله ؛ تأمل ديوان ابن الفارض رحمه الله ، وكتابات ابن عربي .
راجع كتاب المواقف والمحاطبات « للنفري » طبعة دار
الكتب المصرية ، وكذلك كتب النسبة والفتوحات المكية
« لابن عربي » والطبقات الكبرى « للشعراني » وكشف الظنون
ولطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام ومكاشفة القلوب
« للنزالي » .

من مخاطبات النفري : « يا عبد قل ربي عرج بي إليه وقال
لي إرتفع إلى العرش فارتفعت فلم أر فوقه إلا العلم ورأيت كل شيء
لجة ، وقال للجة : إنحسري ، فرأيت العرش وأفتى العرش فرأيت
العلم فوق وتحت ، ورفع العلم فارتفع فوق وتحت ، وبقي عالم ومدة
العلم ونصب العرش ، وأعاد اللجة ، وقال لي أكتب العلم ، وردني
إلى العرش فرأيت العلم فوق واللجة تحتي ، وقال لي ابرز لي كل
شيء فسله حتى تعلم العلم النافع . . . »

ومن موافقه : « أوقفني وقال لي من أنت ومن أنا ، فرأيت
الشمس والقمر والنجوم وجميع الأنوار ، وقال لي ما بقي نور في .

عجری بحری إلا وقد رأيتہ ، جاءنی کل شیء حتی لم یبق شیء ،
فقبل بین عینی وسلم علیّ ووقفنی فی الظل ... » !

* * *

(۲) ﴿ یومئذ یؤدّ الذین کفروا وعصوا الرسول لو تسوی
بهم الارض ولا ینکمون الله حدیثاً ﴾ (الآیة ۴۲ النساء)
جاء فی تفسیرها ، « وقال بعضهم : إن المراد بکتابان الحدیث هنا
کتابان الحق فی الدنیا ککتاب أهل الکتاب صفة النبی ﷺ
والبشارات ... » (المنارجہ ص ۱۱۲) ، وهذا ما أردته بإيراد هذه
الآیة تصدیراً لاحادیثی إلى الله لا أکتبه فیها ، ولا أکتب الناس
شهادتی للخالق ولرسوله وللإسلام بعد أن شرقت وغربت ،
وإذا بی فی ختام حیاتی أوقن أن الإسلام هو الأصل وأن
مصیر البشریة صائر إلیه وأنه صالح لكل زمان ومکان ، وهذا
ما أوضحته فیما تلا هذه الآیة من حدیثی الأول : « نعم یاربی لن
أکتبک حدیثاً ... ولم یبق لی فی حیاتی الآن ... »

* * *

(٢) حديث رؤية المؤمنين لله يوم القيامة :

انظر صحيح البخارى كتاب الرقاق ج ٨ ص ١١٧ وما بعدها
 وفيه قال أناس يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل
 تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ،
 قال : هل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا
 لا يا رسول الله ، قال فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك ... » قال
 القسطلانى فى تفسير قوله ترونه كذلك : الكاف ليست لتشبيه
 المرئى ؛ فليس لله شبيه ، قال تعالى : « ليس كمثله شئ »
 وإنما هى لتشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح واليقين وعدم المجادلة
 ونفى الشك عنها . (وإن كان المعلوم أن المرء لا يستطيع رؤية
 الشمس وإنما هو يرى الشمس من بعد ملايين السنين الضوئية
 إذ آلة الإبصار لا يمكنها إدراك إلا ما ينطبع على عدساتها قدر
 طاقتها البشرية المحدودة) والخلف يؤولون التشابه بصرفه عن
 معناه الحقيقى الموهم للتشبيه إلى معنى يليق بجلال الله وعظمته .
 ﴿ لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾
 تفسير المنار بعد مبحث طويل ١٥٢ إلى ١٩٠ ج ٩ قال :
 « وقد علم مما تقدم أنه ليس فى الرؤية البصرية نص أصولى

ولا لتعوى متواتر قطعى الرواية والدلالة يجعلها من العقائد المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة وليست مما كان يدعى إليه فى تبليغ الدين مع التوحيد والرسالة بحيث يكون من يجعلها أو ينكرها كافراً ، وإنما هى من غريب العلم إلا على الذى يستنبطه من القرآن كبار العارفين ، وربما كان فتنة لمن دونهم وكذلك كان ، حتى أن كبار النظار وعلماء البيان قد اختلفوا فى كل من الآيات الثلاث الواردة فيها : فى سورة الأنعام والأعراف والقيامة » ثم يحتم الموضوع بقوله « خلاصة الخلاصة أن رؤية العباد لربهم فى الآخرة حق ، وأنها أعلى وأكمل النعيم الروحى الذى يرتقى إليه البشر فى دار الكرامة والرضوان ، وأنها أحق ما يصدق عليه قوله تعالى فى كتابه المجيد « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وقوله فى الحديث القدسى الذى رواه عنه رسوله ﷺ « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وأن هذا وذلك مما يدل على مذهب السلف الذى عبر بعضهم عنه بأوجز عبارة اتفق عليها جميعهم « وهى أنها رؤية بلا كيف » ويؤيد ذلك اضطراب جميع أصناف العلماء فى النصوص الواردة فى تقيدها .

وإثباتها سواء منهم أهل اللغة وأساطين البيان، ونظار الفاسفة
وعلم الكلام، ورواة الأحاديث والآثار ومرتاخوا الصوفية وأولو
الكشف والإلهام، فلم تنفق طائفة من هؤلاء على قول فصل
قطعى تمنع به بقية الطوائف بدليلها « ١٠٥ .

* * *

(٤) ﴿ وما جاء موسى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ : رَبِّ أَرِنِي
أُنظِرْ لِيكَ ، قَالَ : لِن تَرَانِي وَلَكِن أُنظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ
مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى
صَعْقًا ، فَلَمَّا أَذْقَ قَالَ : سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
١٤٢ سورة الأعراف .

﴿ فصل ﴾ فى الرؤىة وجمال التأويل فى آيات رؤية الله تعالى
ص ١٢٨ وما بعدها الجزء التاسع من تفسير المنار :

رؤية الله تعالى ربما قيل بادیء الرأى إن آيات النفى فيها أصرح
من آيات الإشارة كقوله تعالى « لن ترانى » وقوله تعالى « لاتدرکه
الأبصار » فهما أصرح دلالة على النفى من دلالة قوله تعالى :
« وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ، فإن استعمال النظر بمعنى
الانتظار كثير فى القرآن وكلام العرب ، كقوله تعالى : « ما ينظرون

إلا صيحة واحدة — هل ينظرون إلا تأويله — هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من النمام والملائكة » ... فقد روى عبد ابن حميد عن مجاهد تفسيره (ناظرة) بقوله : تنتظر الثواب ، قال الحافظ بن حجر سنده إلى مجاهد صحيح .

وقد كان النبي ﷺ يعذر أصحابه في اختلاف فهمهم للنصوص ويقرهم على ما كان للاجتهاد فيه وجه وجيه ، كما فهم بعضهم تحريم الخمر واليسر من آية البقرة التي أرجحت إثمهما على منافهما فتركوها ، ولم يتركها من لم يفهم ذلك وهم الأكثرون إلا بعد نزول آية النبي العظمى أباجنتاهما . فإذا فحصنا أسباب الخلاف من وجهة النصوص وحدها ، وجدنا لكل من النفاة للرؤية والمثبتين لها ما يصح أن يكون له عذراً عند الآخر بمنع جريمة التفرق في الدين ، وجعل أهله أجزاباً وشيماً متعادية غير مبالية بما ورد فيه من الوعيد الذي كاد يجعله كالكفر ، ما دام كل منهم يعلم أن الآخر يؤمن بأن جميع ما جاء به الرسول ﷺ حق ، وأن الخلاف محصور في اختلاف الفهم .

ويقول في موضع آخر : « إن الأحاديث الصحيحة من التصريح في إثبات الرؤية ما لا يمكن المراء فيه ، ولكن المراد من هذه

الرؤية غير قطعي ، وفيها ما قد يدل على عدم الرؤية ، فيأتي فيها الخلاف بين السلف والخلف .

قوله تعالى : « قال رب أرني أنظر إليك » سورة الاعراف ١٤٣ وأحسن ما ورد في التفسير المأثور لهذه الأشياء مطابقاً لمعنى اللغة ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الرؤية عن ابن عباس « فلما تجلّى ربه للجبل » قال ما تجلّى منه إلا قدر الخنصر « جملة ذكاً » قال تراباً « وخر موسى صعقاً » قال مغشياً عليه . ١ . ١ . هـ . من تفسير المنار .

* * *

(٥) ألبرت أينشتاين (١٨٧٩ - ١٩٥٥)

عالم في الفيزيكا النظرية ، من أصل ألماني ، وعاش في أمريكا . عرف بنظرية النسبية الشهورة . أجرى بحثاً على ظاهرة الكهرباء وضوئية . وضع أسس « النظرية النسبية الخاصة » نال جائزة نوبل في الفيزيكا عام ١٩٢١ ، ورحل إلى أمريكا ، وتجنس بالجنسية الأمريكية (١٩٤٠) . أول من اقترض وجود الضوء على هيئة كمات من الطاقة « فوتونات » وضع تكافؤ الكتلة والطاقة « النسبية الخاصة » وهو أن الكتلة تكافئ طاقة مقدارها حاصل

ضرب الكتلة في مربع سرعة الضوء ، والعلاقة بين التجاذب وعزم
التصور . أخرج نظريته النسبية عام ١٩١٦ على أسس رياضية وهي
تحدد العلاقة بين الجاذبية وبين انحناء الفراغ ذي البعد الزمنى الرابع .
﴿فصل﴾ عقائد علماء الأفرنج في هذا العهد ص ٤١٢
ج ١٠ (تفسير المنار) :

« ملخص القول في الدين عند الأفرنج كما يتراءى لنا: أن العوام
لا يزالون يخضعون لدين الكنائس ونظم رجالها في الجملة ولعلمهم
يبلغون النصف في مجموع شعوبها ، وأن الملاحدة المعطلين فيهم على
كثرتهم هم الأقلون في النصف الآخر . وسأثر النصف يؤمنون بأن
للعالم خالقا وأنه واحد ، عليم ، حكيم يعرف بأثره في نظام العالم
الكبير ، وأما ذاته فهي غيب مطلق لا تتصور كتبها العقول ، ضرب
له الفيلسوف الألماني أينشتين الشهير مثلاً غلاماً ميمراً دخل داراً من
دور الكتب منضوذة مرتبة من أدنى الحجرات إلى سقوفها ؛ فهو
يدرك أن في هذه الكتب علوماً كثيرة مكتوبة بلغات متعددة ،
وأن الذين وضعوها في مواضعها أولو فهم ونظام هندسى دقيق ،
وأما مادون فيها من العلوم وانفنون فلا يصل عقل إلى أقل
القليل منها .

* * *

(٦) يقول الدكتور أبو الوفا التفتازانى حول إيمان أينشتين :

« إنما العلم يدفع إلى مزيد من الإيمان بوجود خالق لهذا الكون حتى أن العالم المشهور أينشتين ، الذى غير مجرى العلوم الطبيعية فى عصرنا ، سأله أحد الصحفيين عن قضية الإيمان فقال : إن هذا الكون الفسيح البديع الترتيب الذى يتضمن هذه الجوامع الهائلة من النجوم لا يمكن أن يكون قد وجد عن طريق الصدفة ، ولا يمكن أبداً أن يكون ما يقوله بعض الناس من إنكار للخالق صحيحاً » وأضاف الدكتور التفتازانى « إننى لا أقرر أن أينشتين مؤمن بمعنى أنه مؤمن بعقائد الإسلام أو أنه من أهل النجاة ، بل إننى أرى أن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى معرفة حقائق الوحي بمحض العقل ، وكل الذى أردته فى معرض إزرام الحضم الذى يربط بين العلوم المادية ومناهجها وإنكار وجود الخالق أن أبين له أن ليس هناك ارتباط ضرورى بينهما ، ويستطيع الإنسان أن يجمع بين العلم والإيمان . »

ويحتم التفتازانى هذا الموضوع بقوله : « إن الحكم الذى أراه فى هذه المسألة هو ما قرره الإمام أبو الحسن الأشعري حين ذهب إلى أن الواجبات كلها سمعية ، والعقل لا يوجب شيئاً ، ولا يقتضى

تحسيناً ولا تقييماً ، فمعرفة الله بالعقل تحصل وبالسمع تجب » ،
 فإذا كانت بعض العقول تقوى على معرفة وجود صانع لهذا الكون ،
 فإن هذه المعرفة ، لا تعلق لها بالوحي ، ونحن لا يجب علينا شيء
 إلا عن طريق الوحي أو السمع .

(راجع ندوة العلم والإيمان — التصوف الإصلاحى) .

* * *

(٧) ألفريد كاستلر (١٩٠٢ — ...) عالم فرنسى حصل على جائزة
 نوبل فى الفيزياء ١٩٦٦ لأبحاثه فى تفاعل الضوء والمادة ، وهو أبو الليزر
 ومؤلف كتاب «المادة هذا المجهول» ، وقد كانت له محاورات مع
 «توفيق الحكيم» عن علاقة الدين بالعلم من خلال المؤتمر الذى
 نظمته منظمة اليونسكو ١٩٧٧ ، وجمعت فيه أساطين الفكر
 للتنبؤ بمستقبل البشرية ، ونشر كل ذلك فى مطبوعات اليونسكو ...
 وكاستلر يرى ألا تعارض بين الدين والعلم ، وأن العلم قائم على
 السببية ، والدين قائم على النائية بمعنى أن غاية الدين الوصول
 إلى معرفة الله والتعرب إليه ، أما العلم فهو ربط السبب بالنتيجة
 فى الوصول إلى المعرفة على أساس الحواس .

المعنى أن الإنسان الكامل يحتاج إلى العلم الدينى على أساس
الحواس والعقل .

كما يحتاج إلى الدين للتمتع على الحدس والبصيرة لإدراك
آخرته على أساس الإحساس والقلب . . .

والإنسان الكامل كما قال الإسلام يمشى لذيئه وآخرته .



(٨) الآية ﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن
يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط
بكل شيء علماً﴾ سورة الطلاق آية ١٢ ، كذلك جاء فى تفسير الإمام
الحافظ ابن كثير ص ٢٨٥ : قال ابن جرير فى تفسيرها « لو حدثتكم
بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها ... »

وقال : روى البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات هذا الأثر عن
ابن عباس فقال أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أحمد بن يعقوب
حدثنا عبيد بن غنم النخعي أنبأنا علي بن حكيم حدثنا شريك عن
عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس أنه قال :
« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » ، قال سبع

أراضين في كل أرض نبي كنبيكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ،
وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى .

وجاء في صفحة ٢٥٢ الجزء الخامس من كتاب « إرشاد
السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى » :

« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ... »
في العدد ، وفيه دلالة على أن بعضها فوق بعض كالسموات ،
وعن بعض المتكلمين أن الثلثة في العدد خاصة وأن السبع متجاوزة .
وقال ابن كثير : ومن حمل ذلك على سبع أقاليم فقد أبعد النجمة
وخالف القرآن ، واختلف : هل أهل هذه الأرضين يشاهدون
السما ويسمعون الضوء منها ؟ فقيل : يشاهدونها من كل جانب
من أرضهم ويسمعون الضوء منها ، وهذا قول من جعل الأرض
مبسوطة ، وقيل : لا إنما خلق الله لهم ضياءً يشاهدونه ،
وهذا قول من جعل الأرض كرة . قال ابن جرير : حدثنا عمرو
بن طلى ومحمد بن مثنى ، قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن
عمرو ابن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في هذه الآية قال : في
كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق ، هكذا
أخرجه مختصراً وإسناده صحيح وأخرجه الحاكم والبيهقى .

* * *

(٩) أبو عبد الله القرطبي وتفسيره :

عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي من العلماء الزاهدين المتعبدين توفى سنة (٦٧٣هـ/١٢٧٣م).
تفسيره : « الجامع لأحكام القرآن ، والبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان » وهو من أجل التفاسير وأعظمها نقماً ، أسقط منه القصص والتواريخ ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والنسوخ... ويقول الإمام القرطبي فى مقدمة تفسيره «... وشرطى فى هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائلها والأحاديث إلى مصنفها ، فإنه يقال من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله... » الخ ، وهو فى الحق قد أثبت فى تفسيره أقوال القائلين حتى المخالفين له فى الرأى .

وقد قام توفيق الحكيم بعمل تلخيص لتفسير القرطبي على منوال مختار الصحاح وأسماء « مختار تفسير القرطبي » .

* * *

(١٠) السببية وتطبيقها فى تفسير الحية والأديان : جاء ذكر النسبية فى الأديان تعليقاً على قول الماوردى فى تفسيره لقوله تعالى :

« الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن » ذاكراً
أن دعوة أهل الإسلام تختص بأهل الأرض العليا ولا تنزم من
في غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق عميز ...
فعلقتُ على ذلك بأن الأديان ملازمة بالنسبة إلى إمكان
التبليغ ... أى أنها « نسبية » على هذا الأساس : وهو وصول
التبليغ ، فإذا تم هذا الوصول والإيصال فلا إلزام ... فالنسبة
هنا مرتبطة بإمكان تبليغ الرسالة ... لأن الرسالة لا تتم
إلا بالتبليغ ...

﴿ فصل ﴾ تحت عنوان : « آية نبوة محمد عقلية علمية وسائر
آياته الكونية » قال السيد رشيد رضا :

جعل الله تعالى نبوة محمد ورسائله قائمة على قواعد العلم والعقل
في ثبوتها وفي موضعها ، لأن البشر قد بدأوا يدخلون في سن
الرشد والاستقلال النوعى الذى لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع
من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون ،
بل لا يكمل ارتقاءهم واستمدادهم بذلك ، بل هو من موانسه ، فجعل
حجة نبوة خاتم النبيين عين موضوع نبوته ، وهو كتابه المعجز
للشعر بهدايته وعلومه وإعجازه اللفظى والمعنوى ليربى البشر على

الترقي في هذا الاستقلال إلى ما هم مستمدون له من الكمال .
 هذا الفصل بين النبوات الخاصة السابقة على الإسلام ، والنبوة
 العامة الباقية ، قد عبر عنه النبي ﷺ بقوله : « ما من الأنبياء من
 نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي
 أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تاباً
 يوم القيامة » متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
 وأما ما أقامه الله تعالى به من الآيات الكونية أى المعجزات
 فلم يكن لإقامة الحججة على نبوته ورسالته ، بل كان من رحمة الله تعالى
 وعنايته به وبأصحابه في الشدائد كنصرهم على الكفار في بدر
 والأحزاب ... » المنارج ١١ ص ١٥٩ وما بعدها .



(١٤) « إنما يخشى الله من عباده العلماء » سورة فاطر الآية ٢٨

— قال الإمام النسفي في تفسير هذه الآية :

قرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضي الله عنهم :
 « إنما يخشى الله من عباده العلماء » والحشية في هذه القراءة
 استعارة والمعنى : إنما يعظم الله من عباده العلماء . هـ .

— وقال الإمام القرطبي في تفسيرها :

فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ : « إنما يخشى الله » بالرفع
« من عباده العلماء » بالنصب وهو عمر بن عبد العزيز ، وتحكى
عن أبي حنيفة ؟ قلت : الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى :
إنما يجلبهم الله ويمظهم كما يجلب المهيب الخشي من الرجال من بين
جميع عباده . ١٠ هـ كلام القرطبي .

— إن الله تعالى يخاطب الناس على قدر عقولهم ، وبالوسيلة
التي يفهمون بها ، وفي عهد الرسالة الإسلامية كانت اللغة هي
الوسيلة الوحيدة للتفاهم والتبليغ ، ولكن الله تعالى وهو علام
الغيوب ، كان يعلم أن مستقبل البشر سيأتي بوسيلة أخرى تضاعف
من قدراتنا على فهم عظمة الله وهي العلم (الذي يكشف لنا عن
وجود الفيروسات في دقائقها والمجرات في أحجامها) ولذلك قال
تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » باعتبار أنهم في وقت
قادم سيعرفون من عظمة الله ما لا هو معروف للبشر في عهد
النبي ، ولذلك لم يهمل وسيلة العلم في فهم عظمة الخالق ، وهذا
تفسير لاقتراحى على الأزهر أن ينشئ قسماً أعلى يدرس فيه العلم
فيما وصل إليه من مستويات معاصرة ...

* * *

(١٢) الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (٨٠ - ١٥٠ هـ)

(٦٩٩ - ٧٦٧ م)

صاحب مذهب الحنيفية ، أحد مذاهب أهل السنة الأربعة في الإسلام . ولد بالكوفة من أصل فارسي ، لم تنمه تجارة الحرير من طلب العلم والنبوغ فيه ، فأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان ، وروى عن التابعين وتابعهم من أهل العراق والحجاز .

منهجه الأخذ من الكتاب والسنة وآراء الصحابة وتناوهم ، وهو مع ذلك يأخذ بالقياس والاستحسان ، ويحترم العرف ، ويأخذ به ، وقد وصف بأنه من مجددى الإسلام في عصره .

ونراه مع ذلك لم يسلم ، على فضله ، من العنت والأذى حتى مات على أثر تعذيب الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور له . صار مذهبه بعد ذلك مذهباً رسمياً للدولة العباسية ، وللدولة العثمانية ، وفى مصر أيضاً .

(١٣) غفران الله للصالحين من أهل الكتاب والذين لا يشركون

به شيئاً ويعظمونه ويوحدونه ، نزلت فيه عدة آيات لا يعلم تأويلها إلا الله ، وقد أورد السيد رشيد رضا عليه الرحمة والرضوان

في تفسير المنار في تفسيره هذه الآية : ص ٣٣٦ جزء أول :

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والناصري، والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة ٦٢ . هذه الآية يوضحها الحديث الذي أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال :

التقى ناس من المسلمين واليهود والناصري فقال اليهود للمسلمين : نحن خير منكم وديننا قبل دينكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، ونحن على دين إبراهيم ، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت الناصري مثل ذلك ، فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ، وديننا بعد دينكم ، وقد أمرنا أن نتبعونا ، نحن خير منكم نحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ، ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا . فأنزل الله تعالى : « ليس بأمانيك ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يُحزبه ولا يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً » (النساء ١٢٣)

قال السيد رشيد رضا : أى أن حكم الله العادل سواء وهو يعاملهم سنة واحدة لا يحابي فيها فريقاً ويظلم فريقاً ، وحكم هذه السنة أن لهم أجرهم للصلوم بوعد الله لهم علي لسان رسولهم

ولا خوف عليهم من عذاب الله يوم يخاف الكفار والفجار مما
يستقبلهم ولا هم يحزنون على شيء فأتهم ...»

يقول السيد رشيد رضا في الإيمان بالعقل «ذهب جمهور
الحنفية وكذلك المعتزلة إلى أن أصول الاعتقاد تدرك بالعقل
فلا تتوقف المؤاخذة عليها على بلوغ دعوة رسول، وإنما يجيء
الرسول مؤكداً لما يفهم العقل موضحين له ومبينين أموراً
لا يستقل بإدراكها: كأحوال الآخرة وكيفيات الميادة التي
ترضى الله تعالى .

«... ويقول الإمام الغزالي إن الناس في شأن بعثة النبي ﷺ
أصناف ثلاثة :

١ - من لم يعلم بها بالرة - أي كأهل أمريكا لملك
المهد - وهؤلاء ناجون حتماً (أي إن لم تكن بلغتهم دعوة
أخرى صحيحة) .

٢ - ومن بلغت السعوة على وجهها ولم ينظر في أدلتها إهلالاً
أو عناداً أو استكباراً وهؤلاء مؤاخذون حتماً .

٣ - ومن بلغت على غير وجهها أو مع فقد شرطها، وهو
أن تكون على وجه يحرك داعية النظر، وهؤلاء في معنى
للصنف الأول .

(وأقول) عبارته في كتاب فيصل التفرقة في هذا الصنف هي :
وصف ثالث بين الدرجتين بلنهم اسم محمد ولم يبلغهم نعتة وصفته ،
بل سمعوا منذ الصبا أن كذاباً مدلساً اسمه محمد ادعى النبوة ،
كما سمع صبياننا أن كذاباً يقال له المققع (لعله الله) تحدى بالنبوة
كاذباً ، فهؤلاء عندي في معنى الصنف الأول فإن أولئك مع أنهم
لم يسمعوا اسمه لم يسمعوا ضد أوصافه ، وهؤلاء سمعوا ضد أوصافه ،
وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب . ١٠٥ هـ .

وأقول في حل معنى الآية على هذا : إن أهل الأديان الإلهية ،
وهم الذين بلنهم دعوة نبي على وجهها وشرطها إذا آمنوا بالله واليوم
الآخر على الوجه الصحيح الذي بينه نبيهم وعملوا الأعمال الصالحة
فهم ناجون مأجورون عند الله تعالى ، وإذا آمنوا على غير الوجه
الصحيح كالشبهة والحلوية والاتحادية وغيرهم ، فلا ينالهم من هذا
الوعد شيء بل يتناولهم الوعيد المذكور في الآيات الأخرى ،
وكذلك حال الذين يؤمنون بأقوالهم دون أعمالهم ، فإن الإيمان
الصحيح هو صاحب السلطان الأعلى على القلب ، والإرادة التي
تحرك الأعضاء في الأعمال ... » ، « ولا يعقل أن يكون من لم
تبلنهم الدعوة بشرطها أو مطلقاً ناجين على سواء ، وأن يكونوا

كلهم في الجنة كأتباع الرسل في الإيمان الصحيح والعمل الصالح .
 إذ لو صح هذا لكان بعث الرسل شراً من عدمه بالنسبة إلى أكثر
 الناس ، والمعقول الموافق للنصوص أن الله تعالى يحاسب هؤلاء
 الذين لم تبلغهم دعوة ما بحسب ما عقلوا واعتقدوا من الحق والخير
 ومقابلهما « ١ . هـ كلام السيد رشيد رضا ص ٣٣٨ - ٣٣٩ تفسير
 المنارج أول طبعة النار .

* * *

(١٤) ابن سينا (٣٧٥ - ٤٢٨ هـ) (٩٨٠ - ١٠٣٦ م)

فيلسوف وطبيب مسلم . أصبح حجة في الطب والفلك والرياضة
 والفلسفة قبل سنن العشرين . تنقل بين قصور الأمراء مشتغلاً
 بالتعليم والسياسة وتدير شؤون الدولة ، توفي بهمدان .
 قسم الفلسفة إلى ثلاث : المنطق للوجود النهي ، الطبيعيات
 للوجود المادى المحسوس ، الإلهيات للوجود العقلي .
 أما من ناحية علم النفس فهو يتبع أفلاطون وأرسطو .
 وهو يدين بنظرية الفيض التي تشرح في نظره كيفية صدور
 الكثرة عن الواحد .

* * *

(١٥) الآية ٧٧ من سورة المائدة :

« قل يا أهل الكتاب لا تنلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل » .

فإن الله تعالى يصف الغلاة والتطرف في الدين بالضللال والإضلال « ضلوا وأضلوا » وبيننا أن تقل مثل أهل الكتاب وتفلو في ديننا ، فالنصارى أكثرهم ألّهوا عيسى عليه السلام ونحن منهيون عن تأليه محمد عليه السلام ، واليهود غالوا في عصبيتهم وتطرفهم في تصوير « شعب الله المختار » فضلوا وأضلوا .

* * *

(١٦) ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ . سورة الأنعام الآية ٣٨

* * *

(١٧) ﴿ ولقد هممت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء إله من عبادنا المخلصين ﴾ الآية ٢٤ من سورة يوسف في القرآن الكريم قد اختلفت فيها التفسيرات . وقد جاء في « القرطبي » بشأنها الآتي :

قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيتُ
على: « ولقد همت به وهم بها » الآية ، قال أبو عبيدة : هذا على
التقديم والتأخير ، كأنه أراد ولقد همت به ولولا أن رأى برهان
ربه لهم بها . . . وقال أحمد بن يحيى : أى همت زليخا بالمعصية ،
وكانت مصرّة ، وهم يوسف ولم يوافق ما هم به ، فبين الهمتين فرق .

وقيل : هم بها تنى زوجيتها . وقيل هم بها أى بضربها ودفعها
عن نفسه ، والبرهان كفه عن الضرب ، إذ لو ضربها لأوهم أنه
قصدها بالحرام فامتنعت فضربها . وقيل إن هم يوسف كان «معصية» ،
وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته ، وإلى هذا القول ذهب
معظم المفسرين وعامتهم ، فيما ذكر القشيري أبو نصر ، وابن
البارى ، والنحاس ، والماوردي وغيرهم .

قال ابن عباس : حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن ، وعنه :
استلقت على قفاها وقعد بين رجلها ينزع ثيابه .

قال سعيد بن جبیر : أطلق تكة سراويله ، وقال مجاهد :
حل السراويل حتى بلغ الإليتين . . . وجلس منها مجلس الرجل من
امرأته . قال ابن عباس : ولما قال : « ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب »
قال له جبیرل : ولا حين هممت بها يا يوسف ؟ فقال عند ذلك :

« وما أبرئ نفسي » قالوا : والانتكاف في مثل هذه الحالة دال على الإخلاص ، وأعظم للثواب . قلت : وهذا كان سبب ثناء الله تعالى على ذى الكفل ... وجواب « لولا » علي هذا محذوف ، أى لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به ... انتهى كلام القرطبي .

— ولقد رفض الإمام ابن قتيبة تفسير المهمل بالفرار أو الضرب وردّه ، فقال في كتابه تأويل مشكل القرآن ص ٤٠٣ — ٤٠٤ « يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالألانباء ذنوباً ، وبمحملهم التنزيه لهم صلوات الله عليهم على مخالفة كتاب الله عز وجل واستكراه التأويل ، وعلى أن يلتبسوا لألفاظه الخارج البعيدة بالحليل الضعيفة وذلك كتباً ويلهم لقوله سبحانه وتعالى : « ولقد همت به وهم بها » أنها همت بالمعصية وهم هو بالفرار منها !! وقال بعضهم : وهم بضربها !! والله تعالى يقول : « لولا أن رأى برهان ربه » أفتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها ، فلما رأى برهان ربه أقام عندها وأمسك عن ضربها !!؟ هذا ما ليس به خفاء ولا يغايط متأوله ، ولكنها همت بالمعصية هم نية واعتقاد ، وهم نبي الله ﷺ همأ عارضاً بمد طول المرادة ، وعند حدوث الشهوة التي أتت أكثر الأنبياء في هفواتهم منها ، روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس أن

رسول الله ﷺ قال : « ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو همَّ بخطيئة ليس يحيى بن زكريا » انتهى كلام الحافظ ابن قتيبة .
 وإن كان الحافظ ابن كثير في قصص الأنبياء يميل إلى الفصل بأنه لم يقع في الفاحشة وأن الله أعلم بتأويل باقي الآيات .

* * *

(١٨) قولى إن الله خالق القانون ليس فوق القانون وهو الحريص عليه بمعنى أن الله لا يحطم القوانين التي وضعها للبشر . ولا يخرج عليها وإن كان هو خالقها ، إذ بإمكانه يوم القيامة معاقبة المحسن وإثابة السيئ ، وألا يكون الجزاء على قدر العمل ، ولكن الله لا يخلف الميعاد ، وإن كان يستطيع خلفه ، فهو يحترم قانونه . ولا يخرج عليه فيثيب المحسن ويعتاب السيئ « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » و « كتب ربكم على نفسه الرحمة » . الخ

* * *

(١٩) ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأتقسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ . (سورة الإسراء آية ٧)

* * *

(٢٠) ﴿ من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ .
 (سورة الإسراء الآية ١٥)

* * *

(٢١) حديث خلق العقل :

— أورده الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » الآية ١ من سورة القلم . قال :

روى الوليد بن مسلم قال : حدثنا مالك بن أنس عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أول ما خلق الله القلم ، ثم خلق التون وهي الدواة ، وذلك قوله تعالى : « ن وَالْقَلَمِ » ثم قال له أ كتب ، قال : وما أ كتب ؟ قال : ما كان وما هو كأئن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر ، فجرى القلم بما هو كأئن إلى يوم القيامة — قال — ثم مُختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة . ثم خلق العقل ، فقال الجبار : ما خلقت خلقاً أعجب إلي منك ، وعزتي وجلالي لأكملنك فيمن أحببت ولا تنقصك فيمن أبغضت . قال ثم قال رسول الله ﷺ « أ كمل الناس عقلاً أطوعهم لله وأعملهم بطاعته » .

— كذلك أورد هذا الحديث الحافظ ابن كثير في تفسيره
 الآية من سورة القلم قال :
 رواه ابن عساکر عن أبي عبد الله مولى بنى أمية عن أبي صالح
 عن أبي هريرة .

* * *

(٢٢) الآية ١١٠ سورة الكهف وتمامها ، « قل إنما أنا بشر
 مثلكم يوحى إليّ أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه
 فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » .

﴿ فصل ﴾ عصمة الأنبياء و متعلقها جواز الخطأ في الاجتهاد عليهم
 (تفسير النارج ٢١ ص ٢١٢)

التكلمون استدلوا على ما سموه عصمة الأنبياء بالعقل لا بالنقل ،
 وتأولوا الآيات والأحاديث الواردة بوقوع الذنوب منهم بل العدالة
 على إمكانها ، وليس المراد بدلالة العقل على عصمتهم أنها كعصمة
 الملائكة منافية لطباعهم ، فإن مما فضلوا به على الملائكة أنهم بشر
 كسائر البشر جبالوا على الشهوات الجسدية ، وداعية كل من العصية
 والطاعة ، كما علم من قصة أبيهم آدم ، ولكنهم بقوة الإيمان ومعرفة
 الله عز وجل والخوف منه والرجاء فيه والحب له يرجحون الطاعة

على العصية بملسكة راسخة فيهم ، يمصهم الله تعالى بها من الخطأ في التبليغ ، ومن الكتمان لشيء مما أمروا به منه ، ومن مخالفته ، ومن الزدائل والمصاحي النافية للرسالة ، المبطله للحجة ، دون الخطأ في الاجتهاد والرأى ، والذي لا يخالف نص الوحي، فإذا وقع منهم بهذا الاجتهاد ما كان الخير والكمال لهم في علم الله خلافه ، بينه الله لهم تعليماً ، وعلمهم ما هو الأليق بهم تربية وتكويلاً . ومنه اجتهاد نوح الذي رجع له بالحنان الأبوي جواز دخول ابنه الكافر فيمن وعده الله بنجاتهم كما بيناه في موضعه ، ولم يعلم أن سؤاله ربه ما ليس له به علم قطعي ممنوع إلا بعد أن سأله نجاة ولده فأجاب به هذه الموعظة ؛ وكذلك فصلنا هذه المسألة في تفسير أخذ النبي الفداء من أسرى بدر من سورة الأتقال (٦٧) وتفسير عتاب الله لنيبه على الإذن لبعض المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك والعفو عنه في سورة التوبة (٤٣)

* * *

- (٢٣) حديث « جبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » .
- رواه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي .
 - رواه الطبراني في الأوسط من حديث الأوزاعي .
 - وكذا في الصغير .

— ورواه الخطيب في تاريخ بغداد .

— والنسائي في السنن .

— والحاكم في المستدرک .

— رواه مؤمل بن إهاب في جزءه الشهير وابن عدى في

الكامل ، وأحمد ، وأبو يعلى ، وأبو عوانة في مستخرجه

الصحيح والبيهقي في السنن .

— والسخاوى في جزء خاص أفرده لهذا الحديث وذكره في

« المقاصد الحسنة » .

— وتكلم الإمام ابن فورك عليه في جزء وشرحه .

— وكذا ذكره النزالي في الإحياء .

— وأخرجه الحافظ العراقي في أماليه .

ولا يكاد يخلو منه كتاب من الكتب المعتمدة ، واختلافها على

لفظ « ثلاث » فقط ، ولكن نص الحديث فيها : « حجب إلى »

النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة » .

* * *

(٢٤) « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة

والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم » . الآية ٦٨ سورة المائدة .

* * *

(٢٥) حديث « إنك لا تفضلهم إلا بالتقوى » أورده الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الآية ١٣ سورة الحجرات . قال نزلت الآية في أبي هند ذكره أبو داود في المراسيل : حدثنا عمرو بن عثمان وكثير بن عبيد قالوا حدثنا بقة بن الوليد ، قال حدثني الزهري قال : أمر رسول الله ﷺ بني ياضة أن يزوجوا أباهند امرأةً منهم ، فقالوا لرسول الله ﷺ : تزوج بناتنا موالينا ؟ ! فأنزل الله عز وجل : « إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً... » قال الزهري : نزلت في أبي هند خاصة ، وقيل : إنها نزلت في ثابت بن قيس ابن شماس ، وقوله في الرجل الذي لم يتفصح له : ابن فلانة ، فقال النبي ﷺ : من الذاكِر فلانة ؟ قال ثابت : أنا يا رسول الله ، قال النبي ﷺ : « انظر في وجوه القوم » فنظر ، فقال : ما رأيت ؟ قال رأيت أبيض وأسود وأحمر ، فقال « فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى » ١٠ هـ .

— كذلك أخرجه الحافظ ابن كثير : قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن أبي هلال عن بكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال إن النبي .

ﷺ قال له : « انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن
تفضله بتقوى الله » تفرد به أحمد رحمه الله .

* * *

(٢٦) حديث : « اطلبوا العلم ولو في الصين » .

— أورده الإمام النزالي في كتاب العلم من إحياء علوم الدين .

— وقال العراقي أخرجه ابن عدى في الكامل والبيهقي .

في الشعب .

— وأخرجه ابن عبد البر في العلم من رواية أبو عاتكة .

— وأخرجه ابن عبد البر أيضاً من رواية الزهري عن أنس .

— وأخرجه ابن عدى أيضاً من رواية الفضل بن موسى عن

محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه ، ثم قال هذا

من وضع الجويباري لابن كرام باطل بهذا الإسناد . هـ .

— قال السيد مرتضى الزبيدي : وحديث أنس أيضاً أخرجه

الخطيب « في الرحلة » والديلمي في « مسند الفردوس » وزادا

كاليهقي وابن عبد البر بآخره : « فإن طلب العلم فريضة علي .

كل مسلم » .

وقال أيضاً : وقد روى هذا الحديث عن أبي عاتكة ستة :

محمد بن غالب التتام وجعفر بن هاشم والحسن بن علي بن عباد
 وأبو بكر الأعين والعباس بن طالب والحسن بن عطية، وقد خرج
 الخطيب في الرحلة من طرق هؤلاء، وكذا البيهقي والديلمي
 وابن عدي والعقيلي وتمام.

— وأورده الإمام القرطبي في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»
 وخرجه تخریجاً وافياً.

* * *

(٢٧) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ : أُوَلِّمُ
 تَوْهَنًا ؟ قَالَ : بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنُّ قَلْبِي ، قَالَ فِئْتَدُ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ
 فَصْرَهْنَ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جِزْءًا ثُمَّ ادْعُوهُنَّ
 يَا تَيْنِكَ سَمِيًّا وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ .
 (سورة البقرة آية ٢٦٠)

* * *

(٢٨) حديث «لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم
 أن يسكت على علمه» :

— أورده الإمام الغزالي من كتاب الإحياء .

— أورده صاحب القوت ، فقال : وكذلك روينا عن رسول الله

« لا ينبغي للجاهل أن يستقر على جهله ولا ينبغي للعالم أن يسكن على علمه » وقد قال الله تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . . . (انظر بقية تخريجيه في الإحياء) .

* * *

(٢٩) تمام حديث « وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ؟ ! » .

أورده الإمام النزالى فى كتاب العلم من إحياء علوم الدين قال :
« وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه : حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعبادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة ، فقتيل يارسول الله ومن قراءة القرآن ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ! » .

وذكر السيد مرتضى فى تخريجه : أن ابن الجوزى ذكره فى الموضوعات ، وإن كان السيد مرتضى الزبيدى قد وجد لهذا الحديث طريقاً آخر أخرجه ابن ماجه كما فى الذيل للسيوطى والحاكم فى تاريخه ، كما فى الجامع الكبير له فى مسند أبى ذر ولفظه :
« يا أبا ذر لأن تعدو فى أن تعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ، وأن تعدو فتتلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلى ألف ركعة تطوعاً . . . » .

* * *

· ﴿٣٠﴾ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴿﴾ .
(سورة الزمر من الآية ٩)

* * *

· ﴿٣١﴾ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴿﴾ .
(سورة الرعد الآية ١١)

* * *

· ﴿٣٢﴾ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴿﴾ .
(سورة الأنعام الآية ١٦٠)

* * *

· ﴿٣٣﴾ إن تقرضوا الله قرصاً حسناً يضاعفه لكم ﴿﴾ .
(سورة التباين من الآية ١٧)

* * *

· ﴿٣٤﴾ وأما بنعمة ربك فحدث ﴿﴾ (سورة الضحى الآية ١١)

* * *

(٣٥) ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ﴾ .
(سورة الإسراء من الآية ٤٤)

* * *

(٣٦) ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ .
(سورة يس آية ٨٢)

* * *

(٣٧) ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي
وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ (سورة الاسراء آية ٨٥)

* * *

(٣٨) ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن
يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام
لها والله سميع عليم ﴾ .
(سورة البقرة آية ٢٥٦)

* * *

(٣٩) حديث : « تفكر ساعة خير من عبادة سنة »
— أورده الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ ويتذكرون

في خلق السموات والأرض ﴿ (سورة آل عمران ١٩٠) .
— وأورده الإمام النزالى في الإحياء بلفظ « كلمة من
الحكمة يسمها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة
صيام نهارها وقيام ليلها » قال الحافظ المراقى :

رواه الديلمى في مسند الفردوس من رواية محمد بن محمد
ابن على بن الأشعث : حدثنا شريح بن عبد الكريم التميمى ،
حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن
أبي طالب ، حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن حسان بن
عطية عن محمد بن أبي عائشة عن أبي هريرة رضى الله عنه رفعه
فذكره دون قول فيعمل بها ويعلمها ...

وقال السيد مرتضى في تخريجه « رواه الديلمى أيضا عن
أبي هريرة : كلمة يسمها الرجل خير له من عبادة سنة والجالوس .
عند مذاكرة العلم خير من عتق رقبة » .

* * *

(٤٠) حديث « لا عبادة كتفكر » :

أورده الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويتفكرون ﴾
في خلق السموات والأرض ﴿ ١٩٠ آل عمران .

(٤١) حجة الإسلام أبو حامد محمد النزالى (٤٥١ هـ -
١٠٥٨ م) (٥٠٥ هـ - ١١١١ م)

صار إمام الحرمين وانتشر ذكره فى الآفاق وقام بالتدريس فى
المدرسة النظامية فى بغداد، ثم حج وترك الدنيا، واختار الزهد
والعبادة، وبالغ فى تهذيب الأخلاق، ودخل بلاد الشام، وصنف
كتباً كثيرة أشهرها: إحياء علوم الدين، جملة على أربعة أرباع:
ربع العبادات، وربع المعاديات، وربع المهلكات، وربع النجيات
ثم عاد إلى خراسان مواظباً على العبادات إلى أن انتقل إلى
جوار ربه سنة ٥٠٥ هـ - ١١١١ م بمدينة طوس بخراسان عن
٤٥ عاماً، له فى التوحيد كتاب المنقذ من الضلال والموصل إلى
ذى العزة والجلال، وله «مقاصد الفلاسفة»، وله أيضاً «تهافت
الفلاسفة» وله كتاب «مكشفة القلوب»، وله أيضاً «منهاج
العابدين». ويسميه أهل السنة بحجة الإسلام.

* * *

(٤٢) حديث «... إن الله جميل يحب الجمال ...»

أورده الإمام القرطبي قال: روى مكحول عن عائشة قالت:
كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج
يريدهم، وفى الدار ركوة فيها ماء فجعل ينظر فى الماء ويسوى لحيته

١٤٥

(١٠ - الأحاديث الأربعة)

وشعره ، فقلت يا رسول الله وأنت تفعل هذا ؟ قال : نعم إذا خرج
 الرجل إلى إخوانه فليبهىء من نفسه ، فإن الله جميل يحب الجمال
 [٢٧٦ مختار تفسير القرطبي] في تفسير سورة الأعراف .

* * *

(٤٣) حديث « كان رسول الله يسافر بالمشط والمرآة والدهن
 والسواك والكحل » .

— أوردته البيهقي في السنن .

— وأوردته الإمام القرطبي قال : روى محمد بن سعد أخيراً
 الفضل بن دكين قال : حدثنا منمل عن ثور عن خالد بن معدان
 قال : « ... الحديث » .

— ذكره الإمام الطبراني في الأوسط .

— وأوردته الإمام النزالي في آداب المسافر وزاد في رواية
 أخرى ستة أشياء : المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمشط » .

* * *

(٤٤) ﴿ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ﴾ -
 (سورة التين آية ٣)

* * *

(٤٥) الشاعر الألماني هو: رينر ماريا ريلكه (١٨٧٥-١٩٢٦)
 شاعر فيلسوف وله في «براغ» من أصل نمساوي ، وهب
 نفسه للفن وجاب أنحاء النمسا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا ،
 وكانت رحلته إلى روسيا دفاعاً قوياً لثزعتة الصوفية . ثم جاءت
 صداقته وملازمته للمثال « أوجست رودان » (١٨٤٠-١٩١٧)
 تصقل مواهبه وتضيف عمقاً إلى نظراته الفنية وفلسفته . وقد كتب
 كتاباً عن « رودان » بعد وفاته ، وله محاولة وحيدة في القصة
 وأخيراً أشعاره الرائعة التي ترجمت لأكثر من سبع لغات
 تحت عنوان « دوينيزير إيليجيان » وتوفى في سويسرا مخلفاً
 فناً خالداً . وبعد من أبرز شعراء ألمانيا في العصر الحديث .

* * *

(٤٦) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾
 (سورة فاطر آية ١٥)

* * *

(٤٧) مسرحية لويس الحادى عشر (١٨٣٣)
 تراجيديا فرنسية من خمسة فصول من تأليف كازيميردى لافيني .
 وتدور المسرحية في أخريات أيام لويس الحادى عشر . : فيظهر الملك

كاذب وضعيف وشرس كثير الوسوسة بين أطبائه المالجين .
 وبالقرب منه يعيش « كومين » وابنته « ماري » التي تقع في حب
 « نيمور » الذي لقي أبوه وإخوته حتفهم على يد الملك منذ زمن ،
 والذي تخفي تحت اسم مستعار ويعمل سفيراً لأحد الدوقة . ولكن
 مكر الملك استطاع أن ينزع السر من ابنته ، فيأتي القبض عليه ويودعه
 السجن . ولكن أحد أطباء الملك (كواتيه) ساعد نيمور على
 الهرب ، ولكنه يظل متخفياً في غرفة الملك حيث يستمع إلى اعترافه
 لأحد المقرين للملك ، وتعتبر هذه الاعترافات قمة للمسرحية . ويتردد
 نيمور في قتل الملك مفضلاً تركه نهياً له واجسه وشعوره بالذنب .
 وهكذا تمضي المسرحية بأسلوب كلاسيكي ، في شكل رائع فقد جمع
 المؤلف بين فن الرومانسية والمواقف الدرامية وتقد الشخصيات وتحليل
 الأوضاع الإجتماعية . ولم تخل هذه المسرحية من الكوميديا الخفيفة .

* * *

(٤٨) أحمد لطفي السيد : ١٨٧٢ - ١٩٦٣

مفكر وفيلسوف مصري ورائد من رواد الحركة الوطنية
 ولد بالبنهاية ، حصل على ليسانس الحقوق ١٨٩٤ ، عمل بالقضاء ،
 استقال من منصبه ١٩٠٥ واشتغل بالسياسة ، شارك في تأسيس

حزب الأمة وتولى رئاسة تحرير الجريدة حتى ١٩١٤ ، عين مديراً
لدار الكتب ١٩١٥ / ١٩١٨ مديراً للجامعة المصرية ١٩٢٥ ،
فوزيراً للمعارف ١٩٢٨ وعاد إلى إدارة الجامعة ١٩٣٠ ، ثم استقال
١٩٣٢ ، وفي ١٩٣٨ عاد للمرة الثالثة مديراً للجامعة ، عين
عضواً بجمع اللغة العربية ١٩٤٠ ، فرئيساً للمجمع ١٩٤٥ / ١٩٦٣
ثم عين وزيراً للخارجية ١٩٤٦ ، فنائباً لرئيس الوزراء
وعضواً بمجلس الشيوخ ، أسهم في عدة مجامع وجمعيات علمية ،
ترجم لأرسطو وجمعت خطبه ومقالاته وأحاديثه ، نال جائزة
الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية ١٩٥٨ .

* * *

(٤٩) عبد العزيز فهمي « باشا » (١٨٧٠ - ١٩٤٨)

سياسي مصري درس الحقوق واشتغل بالمحاماة ، وبرز فيها .
وهو من أقطاب حزب الوفد حتى ١٩٢١ ، هو أجد الثلاثة
الذين قابلوا المعتمد البريطاني في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ لتقديم طلبات
مصر . وفي عام ١٩٢٣ أصبح عضواً في لجنة الدستور ، ثم وزيراً
للحقانية (العدل) ١٩٢٥ ورئيساً لمحكمة النقض .

وبعد ذلك انتخب رئيساً لحزب الأحرار الدستوريين خلفاً
لمدلى « باشا » يكن عام ١٩٣٤ . ثم اعتزل السياسة لفترة من الزمن
وانصرف للأدب والحاماة ، ولكنه عاد إلى رئاسة الحزب بعد وفاة
محمد محمود « باشا » عام ١٩٤١ وانتخب في نفس العام عضواً في
الجمعية التشريعية المصرية ، ثم ١٩٤٢ تقيماً للمحامين ، ثم رئيساً
للمجمع اللغوي حتى وفاته عام ١٩٤٨ .
وكان له نشاط ملحوظ وجرىء في المجمع اللغوي ، وهو من
أنصار حرية الفكر ودعا إلى تحرير اللغة العربية من القيود الشكلية
وأعد بحثاً مطبوعاً في ذلك ، وقد امتدحه معظم معاصريه من الأدباء
والمفكرين والسياسيين .

* * *

(٥٠) واصف « باشا » غالى :

أحد أعضاء حزب الوفد المصرى الأوائل ، درس القانون ،
وعين وزيراً للخارجية ، كان يجيد الفرنسية لدرجة أنهم دعوه في
البرلمان الفرنسى لإلقاء كلمة أثناء زيارته لفرنسا وقد أشادوا بنبلاغة
فرنسيته .

اختير ليشغل كرسي عبد العزيز فهمى في المجمع اللغوي ولكنه
اعتذر ، واختير توفيق الحكيم ليشغل ذلك الكرسي خلفاً للثنتين .

(٥١) د. عبد الحميد بدوى :

مشرع مصرى ولد عام ١٨٨٧ تخرج من مدرسة الحقوق ،
ثم أكمل دراسته بجامعة جرينوبل حيث حصل على الدكتوراه ...
فى ١٩٢٢ عين مستشاراً قانونياً ، ثم كبيراً للمستشارين
فى عام ١٩٢٦ ، وفى ١٩٤١ عين وزيراً للمالية ، ثم وزيراً
للخارجية عام ١٩٤٥ - ١٩٤٦ وزارة النقراشى ... وفى هذه
السنة انتخب قاضياً بمحكمة العدل الدولية بلاهاى ، ثم نائباً لرئيس
المحكمة ... كان يتولى رئاسة الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى
والإحصاء والتشريع ، توفى سنة ١٩٦٦ .

* * *

(٥٢) جول لومتر ١٨٥٣ - ١٩١٤

أديب فرنسى من مواليد ١٨٥٣ اشتغل بالتدريس العالى فى
مستهل حياته ، ثم نال لقب الدكتوراه عن رسالته : « السكوميديا
بعد مولير ومسرح دانكور » وكانت باكورة أعماله الشعرية
بعد التفرغ من التدريس هى « القليدات » و « الشريقيات
الصفيرات » ثم تخصص فى النقد المعاصر فى كبرى الدوريات

والمجلات الأدبية ، وقد جمعت فيما بعد في مجلدات تحت عنوان « المعاصرون » . وقد كتب بعد ذلك نقداً مسرحياً رائماً تحت عنوان « إيماءات من المسرح » وقد اتسمت أعماله النقدية بالوضوح والسلاسة بجانب العمق والتحليل ، ونراه قد كتب مسرحيات ناجحة أهمها : ثائرة — الوحيدة — الزواج الأبيض — الملوك — الغفران ... وغيرها . ثم انتخب في الأكاديمية الفرنسية (١٨٩٥) . ثم نراه في أخريات حياته قد اهتم بالمسائل الحيوية والنقد الموضوعي .

* * *

(٥٣) على عبد الرازق وكتاب « الإسلام وأصول الحكم » :
 عندما أُلغى « مصطفى كمال » الخلافة العثمانية التركية سنة ١٩٢٤ اتهمز هذه الفرصة بعض ملوك العرب الذين يدينون للإنجلترا بالجلوس على عروشهم ، وأخذوا يسعون لإقامة خلافة لهم على المسلمين في سائر البلاد ، وكان من الملوك الذين طمعوا في هذه الخلافة « أحمد فؤاد الأول » الملك فؤاد ، وأنشأ لهذا الغرض مجلة سماها مجلة الخلافة .

وفي هذا الوقت قام الشيخ علي عبد الرازق (من علماء الأزهر)

بتأليف كتابه « الإسلام وأصول الحكم » يناوئ به طمع الملك فؤاد بطريقة خفية ، وأنكر في كتابه الخلافة الإسلامية من أصولها ، وادّعى أنها ليست في شيء من الإسلام لأنه ترك أمور الدنيا للبشر يتدبرونها ، فأثار كتابه فتنة كبرى بين المسلمين ؛ فأكثرهم أنكروا آراء الشيخ علي عبد الرازق ، ولم ينتصر له إلا عدد قليل ، وكان علي رأس المنكرين له علماء الأزهر .

وأوحى إلى هيئة كبار العلماء في الأزهر بمحاكمته ، ورأس المحاكمة الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي شيخ الجامع الأزهر آنذاك وانتهت المحاكمة « بإخراج الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الشرعية ومؤلف كتاب الإسلام وأصول الحكم - من زمرة العلماء » .

وكان عبد العزيز باشا فهمي وقتذاك وزيراً للحقانية ، وكان عليه أن يعزل الشيخ علي عبد الرازق من وظيفة القضاء الشرعي ، ولكن عبد العزيز فهمي رفض تنفيذ الحكم ، وقرر تحويله على مستشاري لجنة القضايا ليفصلوا : هل هيئة كبار العلماء مختصة بالنظر في جريمة علي عبد الرازق أم لا ؟ فغضب « يحيى باشا إبراهيم » رئيس الوزراء بالنيابة وذهب إلى الملك فؤاد وأخبره بأمر

عبد العزيز فهمي ، ثم عاد إليه وطلب منه الاستقالة فرفض
عبد العزيز فهمي الاستقالة ، وقال له يحيى إبراهيم باشا : إذن
أقبلك ، فقال له : أقل كما تريد .

وقد خلع الشيخ على عبد الرازق بعد الحكم عليه العمامة ولبس
الطربوش ثم سافر إلى فرنسا ، والتحق بإحدى جامعاتها ، ومكث
بها إلى أن حصل على شهادة منها ، ثم عاد إلى مصر ، واشتغل
بالمحاماة في المحاكم الشرعية ، ثم رشح نفسه لمجلس النواب فنتجح ،
ومرت الأيام وصار وزيراً للأوقاف - وكان الشيخ للراعي
آنذاك شيخاً للأزهر ، وهو الذي أعاد العمامة إلى الشيخ على
عبد الرازق ، وألنى ذلك الحكم .

(انتهى قلا عن القضايا الكبرى في الإسلام للأستاذ عبد المتعال
الصيدى) .

* * *

(٥٤) الدكتور طه حسين وكتاب « في الشعر الجاهلي »
ألقى الدكتور طه حسين محاضرات سنة ١٩٢٦ في الشعر الجاهلي
جمها في كتاب سماه « في الشعر الجاهلي » أنكر فيه ما روى من
الشعر الجاهلي لأنه لا يمثل الحياة الدينية والمقلية للعرب الجاهليين ،

وقد جرّمه البحث في هذا إلى إنكار قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وغير ذلك مما أثار عليه الناس ، وجعلهم يشكونه إلى النائب العام ، فتولى النائب العام التحقيق معه فيما نسب إليه من اتهامات ، وانهى التحقيق إلى عدم جواز المعاقبة لعدم توفر القصد الجنائي في الاعتداء على الإسلام ، وإنما أورد الباحث ما أورده من ذلك على سبيل البحث العلى « وإذا اتفق القصد الجنائي عنه لا يكون عليه عقاب ، وتحفظ الشكاوى المقدمة فيه إدارياً » وقد قررت الحكومة مع ذلك الاستيلاء على الكتاب من المكاتب وغيرها ، وحالت دون انتشاره بين الناس .

* * *

(٥٥) « ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى »

(سورة الشعراء الآية ١٣)

* * *

(٥٦) عبد الملك ابن مروان بن الحكم ٢٦هـ - ٨٦هـ

ولد رضى الله عنه في المدينة سنة ٢٦هـ ونشأ نشأة عليية عالية حفظ القرآن والحديث ، وكان أبوه مروان بن الحكم من أقرب المقربين إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولكن القن

تارت بمقتل عثمان فاعتزل أبوه السياسة وبايع علياً ، ثم جاء معاوية ،
ثم خلفه ابنه يزيد حتى آلت الخلافة إلى الحَكَم ، وخلفه عبد الملك
وكان حازماً صارماً اشتهر بالعلم والورع مع الحزم ، واستطاع أن
يخمد الفتن ويرسل الفتوحات إلى ما وراء النهرين وبلاد المغرب .
وكان من أشهر أهل زمانه وأعلمهم بفقته وحديث ولغته .

* * *

(٥٧) ابن الأثير صاحب المثل السائر

هو ضياء الدين أبي الفتح نصر الله الصلي اللقب بابن الأثير
الجزري توفى ببنداد (٦٣٧ هـ ١٢٣٩ م) وهو الأخ الأصغر لابن
الأثير المؤرخ عز الدين مؤلف « أسد الغابة في معرفة الصحابة »
وكتاب « كامل التواريخ واللباب في أنساب العرب » وعدة مؤلفات
أخرى ، ولد ٥٥٥ هـ وتوفى سنة ٦٣٠ هـ — ويكبرها أخ ثالث
يلقب بمجد الدين ولد ٥٤٤ هـ وتوفى سنة ٦٠٦ هـ بالموصل وهو
العقبة : له عدة مؤلفات تذكر منها « النهاية في غريب الحديث
والأثر » و « جامع الأصول في أحاديث الرسول » جمع فيه بين
الصحاح الستة .

— وأهم كتب ابن الأثير اللغوي الذي نحن بصدد « الوثنى

المرقوم في حل المنظوم» وكتاب «المثل السائر في آداب الكتاب والشاعر» ويعلم المصنف في هذين الكتابين الطالب الطريقة التي بها يتقن صناعة الكتاب والشاعر .

* * *

(٥٨) ابن خلدون

فيلسوف المؤرخين الذين صنفوا في اللغة العربية . ولد في تونس النرب سنة ٧٣٢هـ - ٣٣٢م وتوظف في حكومة تونس سنة ١٣٥١م ثم في فاس ثم حج ثم انتهى به المطاف في مصر وتولى فيها قضاء المالكية وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٦هـ - ١٤٠٦م . كان فضلاً رفيع القدر ، وله فنون عقلية وتقليدية في التاريخ الكبير الذي سماه «ديوان العبر وكتاب المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والمعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» وهو يقع في سبع مجلدات مع المقدمة التي هي مأثرة دائمة الذكر في فلسفة التاريخ وترجمت إلى كثير من لغات العالم وبهرت الشرق والنرب على السواء .

* * *

(٥٩) فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨)

كاتب وأديب فرنسى وصاحب مدرسة فكرية فلسفية .

كتب رائته التراجيدية « أوديب » (١٧١٨) ثم أمضى
بعض سنوات في إنجلترا حيث وجد الفلسفة والحرية الفكرية
واستشعر أهمية العلماء في الحياة السياسية وفي المجتمع ، وبعد عودته
كان إنتاجه يدور حول التراجيديا الفلسفية . أهمها : « بروتس » ،
« زاير » ، « موت القيصر » ، « تاريخ شارل الثاني عشر » ،
« معبد الأذواق » ، « ملاحظات على أفكار باسكال » ، « الزير
١٧٣٦ — محمد ١٧٤٢ — ميروب ١٧٤٣ .

وفي عام ١٧٤٥ عاد إلى باريس ليستمتع بتقربه إلى البلاط
الملكي وكتب « ديوان فوتنوى » وانتخب عضواً في الأكاديمية
الفرنسية (١٧٤٧) ثم كتب قصص فلسفية (زاديج — ميكروميجاس)
وسافر إلى برلين حيث كان الملك « فريدريك الثاني » في انتظاره
وأحسن ضيافته وهناك أصدر فولتير كتابه « قرن لويس الرابع
عشر » (١٧٥١) واختلف الفيلسوف والملك ، فترك الأول بروسيا
عائداً إلى « فرني » بفرنسا ، وقضى هناك ثلاثة وعشرون عاماً من
الإنتاج الفكري فأبدع في كتابة الرواية (كانديد) و (أميرة
بابلون) و « القاموس الفلسفي » .

(انظر تحت شمس الفكر - توفيق الحكيم - مكتبة الآداب) .
 ولقد كتب توفيق الحكيم مقالا بعنوان «الدفاع عن الإسلام»
 سنة ١٩٣٦ في كتابه تحت شمس الفكر هاجم فيه فولتير لاجترائه
 على الإسلام ونبيه ﷺ جاء فيه «قرأت لثلاث عشرة سنة خلت قصة
 « فولتير » التمثيلية « محمد » شجعت أن يكون كاتبها معدوداً من
 أصحاب الفكر الحر ، فقد سب فيها النبي العربي نبأً قبيحاً عجبت
 له ، وما أدركت له علة ، لكن عجبى لم يطل إذ رأيت يهديها إلى
 اليايا بنوا الرابع عشر ... »

توفى (١٧٧٨) في باريس خلفاً تراثاً ضخماً وجدلاً كبيراً .

* * *

(٦٠) يوهان فولفانج جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢)

أكبر أدباء ألمانيا في العصر الحديث ، درس القضاء في مستهل
 حياته ثم احتضنه دوق « فايمار » صديقاً ووزيراً ومستشاراً ،
 مما أتاح له التعرف على الأحداث والشخصيات الأدبية والعلمية
 والسياسية . وقد راقب وتفاعل مع القصر الملكي الألماني خصوصاً
 في المارك الكبرى .

وكان محاسلاً وصديقاً لمدام دي شتاين ثم لشار . وقد نجح في
 الخروج بالأدب المحلى إلى العالمية .

وتنقسم أعماله إلى شعر وقصص ومسرح وأبحاث علمية ذات قيمة . وهو من أبرز من كتبوا الرمزية بعمق كما في «فاوست» . وهكذا نرى أن حياة «جوته» وإنتاجه يمثلان انسجام التطور المستمر ، وقد وصف في موسوعة لاروس الفرنسية : بأنه أحد العباقرة القلائل الذين اقتربوا من حد الكمال البشري حيث أنه أحاط بمجموع معارف واهتمامات الإنسانية .

* * *

(٦١) المنتبي

هو أبو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفي الكندي ، ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ هـ — ٩١٥ م وهو من أشهر شعراء العرب وأشعرهم ، ولقب بالمنتبي لأنه كان قد ادعى النبوة في بادية السماوية وتبعه خلق كثير من بني كلب ؛ فخرج إليه وإلى حمص فأسره وحبسه حتى تاب ، وتفرق عنه أصحابه — قتل المنتبي ٣٥٤ هـ — ٩٦٥ م — قتله بعض اللصوص ، ولقد كانت له علاقة بسيف الدولة أمير حلب وأجزل له العطاء ، وعاش في رغد من العيش .

* * *

(٦٢) عباس العقاد :

الكاتب الأديب والشاعر والناقد والسياسي والصحفي وله
بأسوان عام ١٨٨٩ عمل بالوظائف الحكومية ، ثم تفرغ للصحافة
منذ ١٩٠٧ عمل بالستور والمؤيد والاهرام ، ثم تعددت بعد ذلك
الصحف التي عمل بها .

انتخب العقاد مرتين عضواً بمجلس النواب عن أسوان
والصحراء الغربية ، كما عين عضواً بمجلس الشيوخ ، وفي خلال
نيابته هاجم محاولة الملك فؤاد العيث بالستور ، وأعلن رأيه
في المجلس بقوله : « إن الأمة علي اعتماد لأن تسحق أكبر
رأس في البلاد يخون الدستور ولا يصوته » فقبض عليه وسجن
من أكتوبر ١٩٣٠ إلى يوليو ١٩٣١ — توفي في ١٩٦٤ .

* * *

(٦٣) أحمد أمين (١٨٨٦م—١٩٥٤) (١٣٠٤هـ—١٣٧٣)

أديب مصري ، ولد بالقاهرة عام (١٣٠٤هـ—١٨٨٦ م)
ودرس بالازهر ومدرسة القضاء الشرعي واشتغل حيناً بالقضاء
الشرعي ، ثم عين مدرساً فأستاذاً للأدب العربي بالجامعة المصرية

منذ عام ١٩٢٦ ، فعميداً لكلية الآداب واشترك في تأسيس لجنة
التأليف والترجمة والنشر . من مؤلفاته : « فجر الإسلام » ،
و« ضحى الإسلام » ، و« فيض الخاطر » توفي عام ١٢٧٣ هـ
١٩٥٤ م .

(٦٤) . منصور فهمي : (١٨٨٦-١٩٥٦ م) (١٣٠٣-

(١٣٧٨ هـ)

ولد بالمنصورة ١٨٨٦ م ، تخرج من مدرسة الحقوق ، وأوفد
في بعثة دراسية إلى فرنسا ، حصل من جامعة باريس على الليسانس
في العلوم ، والدكتوراه في الفلسفة ، عاد إلى مصر وعين أستاذاً
للفلسفة في كلية الآداب ، فوكيلاً لها فعميداً لها ، فمديراً لدار
الكتب المصرية ، فمديراً لجامعة الإسكندرية ، ثم عضواً بمجمع اللغة
العربية ، والمجمع العلمي بدمشق ، وعضواً بجمعية الشبان المسلمين
بمصر .

تمت هوامش الأحاديث الأربعة

خاتمة

أما بعد ... فما هو المراد من كتابي هذا ؟ ...
المراد ياربي هو طاعتك فيما أمرتنا به في كتابك
الكريم ... وها هي ذى آياتك العظيمة :

﴿ أو لم يتفكروا في أنفسهم ﴾ ... (سورة الروم)

﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ ...

(سورة البقرة)

﴿ أن تقوهوا لله مثني وفرادى ثم تتفكروا ﴾ ...

(سورة سبأ)

﴿ قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ ...

(سورة الأنعام)

﴿ كذلك تفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ ...

(سورة يونس)

﴿ ... الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم

ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ﴾ ...

(سورة آل عمران)

﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ ...

(سورة الأعراف)

﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم

(سورة النمل)

يتفكرون ﴾ ...

﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ ...

(سورة الحشر)

وهكذا ... وهكذا ... في آياتك الكثيرة ياربي دعوة

إلى التفكير ... وخلقنا لنا آلة للتفكير ... فلم نستخدمها

كثيراً ... واكتفى أكثرنا بال تلقين ، دون تفكير ...

واستخدمنا بعضنا التفكير داخل جدران التلقين ...

ولم يعملوا بقول رسولك ﷺ : « لا عبادة كتفكر » ...
لأن التفكر إذا أدى إلى معرفتك الحقيقة ، وليست فقط
المعرفة التلقينية ، فقد أصبح عبادة ... لأن العبادة في
جوهرها هي معرفة قدرتك ، وتقديرك حق قدرك ...
وهذه المعرفة العليا لا يكفي للوصول إليها حفظ وترديد
العبارات الملقنة ... ولقد قالها الرسول صلوات الله عليه :
« وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ؟! » ...

وقد جاء في قرآنك الكريم : ﴿ ولو أن ما في الأرض
من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت
كلمات الله ... ﴾ ... حقاً ياربي ! ... وهل لو تحولت الأشجار
إلى أقلام والبحار إلى مداد يمكن أن نكتب بها كل عجائب
صنعك ؟! . وهل يمكن لكل ما عندنا من فكر يتجدد
بتجدد العلوم والأزمان أن يصل إلى بعض ما عندك من
أسرار خلقك ؟! . ما نحن إلا بشر ضعيف فوق كوكب صغير
خلقت مثله بقدرتك غير المحدودة ما لا حصر له من ملايين

السكواكب والشموس ... وأنت وحدك الأعلم بما خلقت .
فيها من مخلوقات ، قد تكون أقوى منا إدراكا ... ولقد
سلحتنا من فضلك بسلاح الفكر لندفع به عنا شر الأقوى
من وحوش الأرض ، وشر الأذكي من مخلوقاتك في كوكب
آخر قد يهدد بقاءنا ... ولا بد لذلك من فكر متجدد يتسع
ويرتفع لإدراك بعض أسرارك المعجزة ...

ولقد قمتَ يا ربّي بتدريبنا وتوسيع مداركنا البشرية على
مراحل ... بدأت المرحلة الأولى فيها بأداة « اللغة » المعروفة
للناس ، بكلام مبين موحى به منك ، ليس فيه تفصيلات
علمية لا يدركها بعد عقلنا البشرى في تلك المرحلة ، ولكن
فيه إشارات لدوى الألباب ... وأنت يا ربّي تعرف مواقيت
المراحل القادمة التي يستطيع فكرنا أن يقترب فيها خطوات
من المعرفة التي أردتَ لنا بها أن نكشف شيئاً من أسرار
خلفتك ، وهيات لنا فيها لغة أخرى صالحة لذلك هي لغة
القوانين العلمية والمعادلات الرياضية التي يمكنها الكشف عن

تركيب الذرة وتكوينات العناصر في أنواع خلقك ...
ولذلك لا بد لرجل الدين المتعمق أن يعرف هذه اللغة العلمية
ليزداد معرفة بالله وقرباً من أسرار خلقه ...

وحتى في هذا فطن عالم مؤمن مثل « أينشتين » إلى
ما جعله يقول إن العلم الذي يمارسه هو أيضاً نابع من نوع
من الإلهام الإلهي ...

لقد عايننا الله فيما علمنا بعض أدوات العلم الذي أراد لنا
التقدم فيه ... من ذلك « مبدأ السببية » ، أساس العلم ...
فهو تعالى وإن كانت إرادته هي العليا ، ويكفي أن يقول
للشيء : كن فيكون ... إلا أنه أراد أيضاً أن يعلمنا أن
الإرادة — حتى إرادته أحياناً — تكون على أساس السبب
والمسبب ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية
أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميراً ﴾ ... وكان من الممكن أن يكتبني بالإرادة ، ويقول :
« وإذا أردنا أن نهلك قرية دمرناها تدميراً » ... ولكن

الله تعالى أراد بحكمته وعلمه أن يقول لنا : فلتكن لكم
إرادة ، ولكن لتكن هناك أيضاً الأسباب التي توصل إلى
تحقيق هذه الإرادة ... والله أعلم ...

ومهما يكن من أمر فقد أرانا الله تعالى الفرق بين الإرادة
وبين الأسباب الموصلة إلى تحقيقها ... كذلك « معرفة الله »
وهي الهدف الأسمى من « العبادة » ، ثم طريق الوصول إلى
هذه « المعرفة » وهو « الفكر » ...

ويجب أن نفرق بين « العلم الصرف » الذي يقربنا إلى
معرفة الله ، والعلم التطبيقي « التكنولوجيا » الذي هو
المستول عن القنابل الذرية والإنسان الآلي والقلق
الحضارى ... وقد سبق أن ذكرت ذلك في بعض المؤتمرات
الأوروبية ... ومسئولية إنقاذ البشرية تقع اليوم على رجال
الفكر بالتعاون مع رجال الدين على دعم القوى الروحية ...
وإن كان الاتفاق على معنى واحد لكلمات : « القوى
الروحية » و « الفكر » و « العلم » و « الثقافة » ليس

من الميسور دائماً عندنا . وهو ما يؤدي إلى سوء الفهم
واختلاف الأحكام ...

كذلك في « الدين » على وجه العموم : هناك
من يرى فيه الغرض الأصلي وهو « الوصول إلى الله » ،
وهناك من يراه في « الشعائر » و « الطقوس » ... وهناك
من يتبع بكل دقة الشعائر التي أمر بها الله تعالى ولا يعتبر
أنه قد وصل ... إنما هو اتباع الطريق الذي أراده الله
للوصول إليه لأنه السلم الذي يرتقى عليه ...

إنما الوصول ذاته هو القمة ... وهي معرفته وحب
تعالى ... وحب الله ليس هو الحب الذي نعرفه من البشر
للبشر ... لأن الحب البشري له أسبابه وأعضاؤه التي
خلقها الله لنا وبها ... والله ليس بشراً مثلنا ؛ فهو « ليس
كشله شيء » ... إذن « حب الله » هو : « حب
نوره » ، ونوره تعالى ليس مصدره القلب وحده ...
ولا العقل وحده ... ولسكنه في كل ما يضيء كياناتنا
البشرى ويرفعنا لنسمو على أنفسنا ...

وأخيراً ... فإن من واجبي أن أنبه إلى خطر أخشى.
استفحاله يتعرض له الإسلام وأهله والفكر وأهله من انتشار
« الغوغائية » ، وهي القوة العاشمة التي تقوم على مجرد
الإشاعة ونبد « التفكير » ... التفكير الذي أوصى به الله
تعالى ورسوله صلوات الله عليه ... وكان أن قام نفر اتخذ
من « الغوغائية » البعيدة عن « التفكير » سلاحاً للسيطرة على
العقول ... وكان من أثر ذلك ما تعرض له في الإسلام أمثال
« ابن رشد » و « ابن سينا » من اضطهاد ، وفي المسيحية
أمثال « جاليليو » و « كوبرنيكوس » ... وكانت الحججة التي
في يد قادة « الغوغائية » هي دائماً : الدفاع عن الدين ضد
الإلحاد ... وتتكفل الإشاعة بالباقي ... فإذا كل من اتجه
إلى « التفكير » في دين أو علم قد حاصرت « الإشاعة »
وطاردته ...

والإسلام اليوم في نهضة تحتاج إلى فهم صحيح
لكتاب الله الكريم وحديث رسوله الشريف ... وأسلوب
القرآن مبين ، وحديث الرسول واضح ... ولكن

« الإِشَاعَة » لا تقرأ ولا تفكر ... وفي هذه « الأحاديث الأربعة » « مع الله وإلى الله » أطلقت « الإِشَاعَة » القول بأن المؤلف تَجِرّاً وتطاول على الله تعالى بمخاطبته ... ولو قرأوا القرآن بعناية وفكر لوجدوا الله تعالى يخاطب الإنسان بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ . (سورة الانفطار)

وبقوله تعالى يخاطب الناس : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً ﴾ . (سورة البقرة)

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (سورة النساء)

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ . (سورة الصف)

بل إن الله تعالى يخاطب الكافرين أيضاً في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجِزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة التحريم)

أما الإنسان فهو أيضاً يخاطب ربه ... كما جاء في القرآن
الكريم : ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا
رشداً ... ﴾ . (سورة الكهف)

وكما جاء في كتابه الكريم ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وأنت خير الفاتحين ... ﴾ (سورة الأعراف)

أليس في كل هذه الآيات مخاطبة الله تعالى للإنسان والناس
والمؤمنين والكافرين ... كما أن فيها مخاطبة من الإنسان
والناس لله سبحانه وتعالى ؟ ...

اللهم احفظ الإسلام بمن يسيء فهمه وفهم المؤمنين به ...
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا

توفيق الحكيم

رمضان ١٤٠٣ هـ

يونيه ١٩٨٣ م

الإسلام

عند توفيق الحكيم

على أثر ما نشر للأستاذ توفيق الحكيم من كتابات حول الإسلام أثارته الجدل سأل بعض القراء عن مدى اتصال توفيق الحكيم بالإسلام . ولما كانت مكتبة الآداب وصاحبها على حسن وأولاده هي للالتزمة بنشر مؤلفاته منذ أكثر من خمسين عاماً . وكان أول كتاب تنشره عند بدء اشتغال صاحبها بالنشر هو كتاب من تأليف توفيق الحكيم ، حتى أصبحت مؤلفاته أكثر من مائة مؤلف في مختلف الآداب والفنون ، ومنها كتب متصلة بالدين والإسلام . فقد رأت من واجبها الإجابة عن هذا السؤال :

١ — بدأ اتصال توفيق الحكيم بالدين وبالإسلام منذ عهد الطفولة والصبا في الكتابات التي كانت تحفظ القرآن للصبية الصغار ، على نحو ما ذكره في سيرته الذاتية : « سجن العمر » .

٢ — ثم تأتي مرحلة الاتصال العلمي ، وقد كانت في مدرسة الحقوق من عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٢٤ ، حيث تلقى الشريعة الإسلامية على يد الشيخ زيد ، وهو العالم الثقة الذي اشتهر في ذلك العهد بأن على يديه تلقى الشريعة كبار رجال مصر المعروفين في تاريخ القضاء والسياسة .

٣ — ثم جاءت مرحلة التأليف في السيرة النبوية ، حيث أسهم في هذا المجال أهل الفكر والأدب من رجال عصر التنوير الذي أشرق على أثر ثورة ١٩١٩ . وقد رأى أدباء هذا العصر أن القرآن مصدر نور إلهي وإنساني ، ومنبع أدب وعلم وفكر لا بد أن يستمدوا منه الإلهام . وأن يعملوا في حقله الزهر الخصب إلى جانب علماء الدين المتخصصين . فكان أن ظهرت مؤلفات إسلامية فذة مثل « حياة محمد » للدكتور هيكل و « على هامش السيرة » للدكتور طه حسين ، و « عبقرية محمد » لعباس محمود العقاد . و « محمد » الرسول البشر لتوفيق الحكيم ، جعل منهجه فيه الاعتماد الكلي على الأحاديث المعتبرة ينطق بها الرسول وصحابته وكل من ورد ذكره في الكتاب . ولذلك عكف على دراسة هذه الكتب العتمدة وهي على سبيل الحصر : سيرة ابن هشام وتفسيرها للسهيلى ، وطبقات ابن سعد ، والإصابة لابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير ، وتاريخ الطبرى ، وصحيح البخارى ، وتيسير الوصول ، والشامل للترمذى والبيجورى . وقد قرّظ هذا الكتاب أعلام العصر ومنهم : « مصطفى صادق الرافعى » صاحب « إعجاز القرآن » الذى وصفه سعد زغلول بأنه تنزيل من التنزيل .

وتبنى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبع النسخة الإنجليزية لكتاب « محمد » لتوفيق الحكيم وتوزيعه فى أنحاء العالم وذلك ضمن سلسلة « دراسات فى الإسلام » .

٤ — ثم استمرت كتابات توفيق الحكيم فى الإسلام ، فجاءت مقالاته

في كتابه : « تحت شمس الفكر » ١٩٣٨ مثل « الدفاع عن الإسلام »
و « منطقة الإيمان » و « نجم أحمد » و « سر العظمة عند محمد ﷺ »
و « جوهر الدين » ... الخ الخ .

٥ - وفي كتابه « فن الأدب » أفرد باباً للدين كتب فيه فصولاً
رائعة تحت عناوين « معجزة الدين » ، و « الحقيقة الكاملة »
و « ثورة العقل » و « الماء الحى » و « الإيمان بالحياة » و « السماء
هى المنبع » .

وتوالى مؤلفاته فى شتى دروب الفكر الإنسانى ملتزمة برسالة ترقية
الإنسان والإصلاح الاجتماعى ، وقد أكد فى كل ذلك على الدور الجوهري
الذى يلعبه الدين والنواحي الروحية فى تحقيق الهدف المنشود .

٦٠ - ثم كتابه الضخم « مختار تفسير القرطبي » الذى قال فى
تصديره : « إن ضرورته هو ما تراه اليوم من الاهتمام المخلص بالدين
مما يقتضى الرجوع إلى المنبع الأصيلى للشريعة . ولما كانت المراجع
مثل « تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن » المشهور بأنه من أجل التفاسير
وأعظمها نفعاً يبلغ من الضخامة فى مجلداته العشرين ما تشق قراءته على
أكثر الناس ، فقد رأيت أن أقوم بمثل ما قام به صاحب « مختار الصحاح »
للتيسير على الناس باستخراج مختار فى مجلد واحد للجامع لأحكام التوآن .
وقد حرصت فيه على ما سبق أن حرص صاحب مختار الصحاح فى مختاره
من الاقتصار على ما لا بد لكل متدين ومسلم وقارئ للقرآن من
معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه على الألسن » .

٧ - وأخيراً كتابه « الإسلام والتعادلية » الذي وضع فيه أن الإسلام يقوم على الإيمان بوجود الدنيا ووجود الآخرة ، ولكل وجود شأنه المستقل ، فالدنيا وجود يعمل فيه الإنسان كأنه يعيش أبداً ، والآخرة وجود يعمل له الإنسان كأنه يموت غداً . لا طغيان لأحدهما على الآخر إلى حد الإفناء والإلغاء . وأن ما يميز الإسلام هو الاعتدال بعدم الغلو والتطرف والإسراف .

* * *

وقد استأذنا الأستاذ توفيق الحكيم في نشر هذه البيانات تذكيراً للقراء بسابق اطلاعه وعطائه للفكر الديني من قديم . وهو القائل : « إن الدين مصدر أساسي من مصادر الفكر والإلهام للأديب والمفكر والفنان ، وخاصة في الإسلام حيث يقول تعالى : « وتفكروا يا أولوا الألباب » .

ولا ينتقص في هذا الوضع ما يحدث لبعض المفكرين وكتابتهم من نقد ومن اختلاف في الرى ومن حساسيات لبعض من أسلوب أو منهج ...

« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين » . .

الناشر

مكتبة الآداب (علي حسن)

ترجمة رسالة ألفريد كاستلر إلى توفيق الحكيم :

يسألني الأستاذ توفيق الحكيم عن رأيي في العلاقة بين العلم والدين ؛ لا أظن أن هناك تناقضاً بين هذين النشاطين المنسبين للإنسان ؛ بل إن ما بينهما علاقة « تكاملية » .

كل من « العلم » و « الدين » ذو طابع ومجال متميز : العلم مجاله المعرفة ودراسة كل ما تدركه حواسنا ، أما الدين فمجاله الإيمان .

ولقد كان هناك على الدوام علماء مؤمنون وعلماء ملحدون .

وليسمح لي الأستاذ الحكيم أن أعلق على عبارة له عن « العلم الملحد للقرن التاسع عشر » ، أعتقد أنه لم يعد من الممكن أن نصم معرفة القرن التاسع عشر بالإلحاد ؛ فلقد شهد ذلك القرن تطور اتجاه فلسفي هو « المادية العلمية » تأسس على نتائج لم يتم العلم اكتشافها بعد ، ولقد استخلص البعض من ذلك عدم وجود الله ، ولكن ذلك كان وهماً .

إن وجود إله ، خالق للكون لا يمكن أن يثبت أو ينفي بالطريق العلمى . ذلك أن العلم ليس دينيا ولا ضد الدين ، العلم لا دينى بمعنى أن ليس له صفة دينية . فالعلم يحاول تفسير الوجود بناء على « مبدأ السببية » . أما المؤمن فإنه يؤكد وجود « مبدأ الغائية » كتفسير للكون .

هذان المبدآن المتكاملان غير المتناقضين قد تقبلتهما الإنسانية بالرضا

ألفريد كاستار

١٩٧٧

(ترجمة الناشر)

تصويب الخطأ المطبعي

الصفحة السطر	خطأ	صواب
١٨	الأخير	قرأوها
٣٠	الأول	يعظمهم
١١٣	٦	أنظر
١٣٤	٩	أكتب
١٣٤	١٤	لأنقصك
١٤٠	٩	ادعوهن
١٤٥	١١	الجلال
١٤٦	١٢	(السواك والمشط)
١٦٠	١٠	الساوية
١٧٦	١٠	(وتفكروا)
		يا أولوا الألباب) (إلا أولوا الألباب)

فهرست الكتاب

صفحة	الموضوع
٥	كتب المؤلف نشرت باللغة العربية
١٠	كتب المؤلف نشرت في لغة أجنبية
١٧	تقديم الأحاديث الأربعة
٢٣	الحديث الأول
٣٧	الحديث الثاني
٥٥	الحديث الثالث
٧١	الحديث الرابع
٨٩	أنا مسلم ... لماذا ؟
١٠٧	هوامش الأحاديث والقضايا الدينية التي أثارها
١٦٣	خاتمة الكتاب
١٧٣	الإسلام عند توفيق الحكيم
١٧٧	ترجمة خطاب ألفريد كاستلر إلى العربية
١٧٩	تصويب الخطأ المطبعي
3	ترجمة مقدمة الكتاب باللغة الإنجليزية
7	خطاب من ألفريد كاستلر إلى توفيق الحكيم
13	كلمة الناشر باللغة الإنجليزية
17	مراجع بلغات أجنبية عن فكر المؤلف

— Schoonover, K.

“ Tawfik Al- Hakim ”

(Muslim World 1955)

* * *

— Papadoboulo A.

“ Tewfik Al- Hakim et son oeuvre ”

(Etudes Méditerranéennes 1959)

* * *

— W. M. Hutchins

“ Plays , Prefaces & Postscripts of Tawfiq
Al- Hakim ” Vol. 1 Theatre of the Mind.

(Three Continents Press 1981 U. S. A.)

— K. O. Yonuzov

“ Taoufika Al- Hakima Bibliografitcheskii
Ukazateli ”

(Le Livre , Moscou 1968)

* * *

“ Dramaturgia Taoufika Al Hakima ”

(Le Livre , Moscou 1976)

* * *

— Landau J.M.

“ Al- Hakim , The Arab Theatre ”

(Philadelphia , 1958 U.S.A.)

* * *

— Nahman Bar- Nissim

“ Tawfik Al- Hakim The Dramatist ”

(Pennsylvania University U. S. A.)

* * *

— Richard Long

“ Tawfiq Al- Hakim ”

(London : Ithaca Press 1939)

* * *

For Further Reading

— Aly Moh. Hamed

“ Philosophical Concepts in Five Plays by
The Egyptian dramatist Tawfik Al-Hakim ”
(Denver University , 1968)

* * *

— Barbour N.

“ An Egyptian Novel ”
(Islamic Culture , 1935)

* * *

— Gabrieli Fc.

“ Studia et acta Orientalia ”
(Arabo Teatro , Roma 1954)

* * *

— Jean Fontaine

“ Mort Resurrection, Une lecture De Tawfik
Al- Hakim ”
(Ph. D. Bouzlama-Press Tunis , 1978)

Al-Hakim's works count for more than one hundred .. over sixty plays, two, poems, two autobiographies, and it is difficult to count his serious essays, short stories and novels.

W.M. Hutchins (1) quotes in his documentary introduction : "In his comments about his work he has described, himself as an Easterner and therefore a spiritual playwright, a social critic and therefore a reformist playwright and a pioneer and therefore a diverse playwright".

M. & A. Aly Hassan

-
- (1) Plays, Prefaces and Postscripts of Tawfik
Al-Hakim Vol. 1 - Theatre of the Mind
(Three continents Press, 1981 U.S.A).

he created a corresponding power : Which is the power of the devil, just to make the human life variable and dynamic. "He wrote.

Tawfik Al-Hakim condensed the most important Islamic book "Tafssir ALKORTOBY" (30 volumes) into one volume including the most important Islamic ideas.

As late as 1977, he felt the need for an Islamic rebirth ... he watched the scene in the area. A new Islamic approach completed his theory of Equilibrium.

It was easy for him to find similar hypothesis in Islam, though he criticized some classical exegesis of the Quranic verses. Islam is suitable for all places and all times, but only if we add present thoughts and evolutions ... this will pave the way for future conclusions.

"With and to Allah" is a new and strange means to be accepted by Moslim fundamentalists nowadays. Therefore his "Four Soliloquies" with Allah, in early 1983, aroused tremendous controversy.

Critics expressed their fears from the possibility of such a means of argumentation and the ideas as well.

Al-Hakim went deep in analysing the humanity of prophets, the limits of man's thinking and the need for cooperation between all human beings neglecting their beliefs or religions. We need all efforts to be closer to reality, to work out our needs for a better life, and finally to sense our being.

the year *One Million*, 1953, and between *Science and Art* in *Voyage to Tomorrow*, 1957.

Al-Hakim is of the opinion that religion is a main source of thought and inspiration to the man of letters, the thinker and the artist. While *The Sleepers of Ephesus* is based on a Quranic story; (1). *Oedipus* is a new adaptation of Greek tragedy reflecting his eastern view regarding mythology, philosophy and theology.

His book *Muhammad the Messenger, the human* 1936, is a documentary account of the prophet's life. It is translated into English and published under the auspices of the Supreme Council of Islamic Affairs ...

In 1938 Al-Hakim outlined in his essays the meshing of the work of mind with heart feelings. These essays are entitled *Under the Sun of Thinking* ... a considerable part of the book is devoted to belief, religion and its relation to the creative work. Art and religion occupy a great part in his book *The Art of literature* published in 1952. It is amazing to read such chapters as *The Whole Truth*, *Revolution of the Mind*, *The sky is the Source*, *Belief in life* and *the living Water*.

Equilibrium 1955, is the masterpiece work of mind, where Al-Hakim balanced the contradictions of his philosophical equation. *Allah Alone is the only One, the perfect One. However through his Almighty will,*

(1) Or Sura with the same title.

A LETTER BY THE PUBLISHER

“Man’s sense that he is not alone in existence”. So did Tawfik Al-Hakim started his journey with the comprehensive belief.

In early childhood he received his Islamic education in “Kuttab” (1) where he recited the Quran. During his study of law, sheikh Zaid, the eminent professor of Islamic Jurisprudence, inspired his mind with the theory of human rights in Islam and its philosophy

In fact two main factors influenced Al-Hakim’s thought and literature : the first is his comprehensive and deep reading of the Arabic and Islamic traditions together with the liberal Islamic writers starting from Sheikh Mohammad-Abdou up-to Al-Maraghy. The second factor is his grasp of the western civilization as a result of his stay in Paris in the twenties.

All these factors shaped his thought and as a result he expressed his ideas concerning the conflict between the fact of the heart vis-à-vis, the truth of the intellect.

This led him to diverse conflicts such as that between Man and Time in “The Sleepers of Ephesus” 1933, and that between the Reality and the Truth in “Oedipus”, 1949. Between Science and Religion, “In

(1) A sort of pre-elementary Islamic school.

Le croyant affirme la présence dans l'univers d'un
"principe de finité".

Ces deux principes complémentaires et non
contradictaires ont été conçus par l'esprit humain.

Alfred Kastler

Mr. Tawfik Al-Hakim a demandé mon opinion sur les relations entre science et religion. Entre ces deux activités spirituelles de l'homme je ne pense pas qu'il y ait contradiction. Elles sont dans un rapport de "complémentarité". Science et religion se situent sur des plans différents de l'activité spirituelle. La science est du domaine du savoir, de l'étude des faits accessibles à nos sens. La religion est du domaine de la foi. Il y a eu de tous temps des scientifiques croyants et des scientifiques incroyants.

Je voudrais me permettre de critiquer une expression employée par M. Al-Hakim; il parle de la science athée du siècle précédent. Il ne me parait pas possible de caractériser ainsi la science du 19^{ème} siècle. Ce siècle a vu le développement d'une tendance philosophique appelée « Matérialisme Scientifique » se fondant sur des résultats encore bien incomplets de la science, certains esprits ont cru pouvoir en déduire l'inexistence de Dieu. C'est la une illusion.

L'existence de Dieu, d' un créateur du monde, ne peut être ni démontrée ni infirmée par la science.

La science n'est ni religieuse. ni antireligieuse. Elle est areligieuse, elle tente d'expliquer l'évolution du monde par le "principe de causalité".

siècle. Ce siècle a vu le développement
d'une tendance philosophique, appelée
"matérialisme scientifique." Se fondant
sur des résultats encore bien incomplets de
la science, certains esprits ont pu parvenir
à se dédire l'existence de Dieu.

C'est là une illusion. L'existence de Dieu,
d'un créateur du Monde, peut être ni-
difiée ni infirmée par la Science.

La Science n'est ni religieuse, ni
anti-religieuse. Elle est religieuse.
Elle tente d'expliquer l'évolution du

Monde par le "principe de causalité".

Le créant affirme la présence dans
l'univers d'un "principe de finalité".

Ces deux principes, complémentaires et
non contradictoires, ont été conçus
par l'esprit humain. Alfred Kerdhu

M. Tawfik Al-Habian a demandé mon opinion sur les relations entre Science et Religion. Entre ces deux activités spirituelles de l'homme je ne pense pas qu'il y ait contradiction. Elles sont dans un rapport de "complémentarité". Science et religion se situent sur des plans différents de l'activité spirituelle. La science est un domaine du savoir, de l'étude des faits accumulés à nos sens. La religion est un domaine de la foi. Il y a eu de tout temps des scientifiques croyants et des scientifiques incroyants.

Je voudrais me permettre de critiquer une expérience employée par M. Al-Habian. Il parle de "la science athée du siècle précédent". Il ne me paraît pas possible de caractériser ainsi la science du 19^e s.

D' Alfred Kastler à Tawfik Al-Hakim :

Sa lettre : Son écriture et sa signature :

**Allah the Almighty is the Greatest, his knowledge
is wider, his mercy is deeper and his forgiveness is
broader.**

Tawfik Al-Hakim

Shaaban 1403, A.H.

May 1983

**Translated by : H. H. Mayyas, Ph. D. Ling.
Al-Azhar University**

**Revised by : J. Cochran, Ph. D. English
Texas University**

tists are of the opinion that all the human elements concerned with man's mental and emotional activities, whether being religious, scientific thought, literature, art and culture, and which cope with the changing times, must participate in shaping the nation's mentality as long as Islam is suitable for every time and place.

The main dispute between some sheikhs and men of contemporary thought is : these sheikhs depend only on the science and culture that were available in the age of Prophet Muhammad and according to their own criteria. Whilst the men of thought depend also upon them and add the recent achievements in science and culture.

The tradition of our forebears is but the product of human minds and hearts lived during cultural findings different from ours due to the additions of our renewable life.

Therefore, we should not confine ourselves only to these early findings and make them curb our thinking, or make them a limit beyond which we can not exceed. Thus making us turn for hundreds of years in a vicious circle around one age as if Islam were not suitable except for that age with its ideas and circumstances.

We have not to base our ideas only on the first age of Islam and forget that Islam is suitable for and suits all the times because it is flexible and suits life and progress in all the ages, times and places.

I also traced the authenticity of the "Ahadeeth" (1) and ideas mentioned in the four essays because they were described by some eminent Sheikhs (2) as being concocted, weak or non-existing. I went back to the sources from which I got them and became sure that all are authentic and are in the majority of the trusted Islamic sources.

The matter at issue which must be seriously discussed is :

Some savants of religion insist on being the sole shapers of the nation's mentality on the bases of the religious informations they themselves learned from the books they consider authentic only in the light of the parts they have read and approved ... they read them in their own way, i.e, isolated from any up-to-date knowledge and contributions.

At the same time they do not permit others to lead and shape the people's mentality on the bases of contemporary science and culture unless they approve and supervise, whereas they themselves are isolated from the dynamism of thought in its successive times, and without distinguishing between what is stable in religion and what is renewable with the change of time and place.

At the same time we find that thinkers and scien-

(1) Sayings of Prophet Muhammad. (Translator).

(2) The "sheikh" is the Islamic man of religion.

FOUR SOLILOQUIES WITH ALLAH AND THE RESULTING RELIGIOUS DEBATE

This book "The four soliloquies" includes the four essays published under the title "With and to Allah" and which aroused the well known controversy. These four essays are but a type of soliloquy with Allah the Almighty ... in my special style and according to my culture, expressing my sincere love to Allah.

I do not accept the thought emerged from others without thinking, and also do not take for granted their concepts and ideas which my mind, created for thinking, cannot comprehend and digest.

I do not accept what comes out from the hearts and minds of others without contemplation and thorough testing.

This controversy is but temporary and alien regarding the issue I will discuss in detail due to its importance.

In collecting these four essays in this book, I have decided to delete all the words and lines written as attributions to Allah, putting into consideration the religious sensitivity which I do not want to disturb any believer.

TAWFIK AL HAKIM

THE FOUR SOLILOQUIES

AL-ADAB PRESS

42 Opera Square Cairo

Tel: 920868 919377

TAWFIK AL HAKIM

THE FOUR SOLILOQUIES

AL-ADAB PRESS

43 Opera square Cairo

Tel: 920869 919377